نهى داود

أدب جريمة

رواية

جريمة في ليلة ممطرة

الدار المصرية اللبنانية

جريمة في ليلة ممطرة: رواية / نهى داود. – ط2.–
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2025.
264 ص؛ 20 سم. في رأس العنوان: أدب جريمة
تدمك: 8 – 547 – 795 – 977 – 978
1– القصص العربية البوليسية.
2– الجريمة والمجرمون في الأدب العربي.
أ – العنوان. 813.0872
رقم الإيداع: 20212 / 2025

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة.
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى – الطبعة الثانية: 2025م

تصميم الغلاف الفنان: أحمد عاطف مجاهد

تعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف
وليس بالضرورة أن تعبّر عن آراء الدار

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،
بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

إهـــداء

إلى ميجان وهاري..

بطلَي الرواية المكررة،

في كل زمان ومكان.

*

- 1 -

البداية

جثا على ركبتيه يتفحص الجسد المنكفئ على أرض المكتب، جثة رجل في العقد السادس من عمره، أو ربما السابع، ممددا على سجادة المكتب الحمراء السميكة. تخثرت الدماء على رأسه، ومن حولها، وإن تعذر تمييز لونها القاني على السجادة.

اقترب من رأس القتيل وتأمّل الثقب الذي اخترق جمجمته والجرح الظاهر على جبهته، وراودته الأسئلة المعتادة، ما هوية المجني عليه؟ ومن الجاني؟ وما الدافع؟

صوت نهنهة مفاجئ استرعى انتباهه، رفع رأسه ناظرا إلى الثلة المحيطة به، الذين كان قد صرفه عن وجودهم صمتهم المطبق.

مرر عينيه بهم في فضول؛ بجوار الباب وقفت فتاة طويلة رشيقة القد تجلّى الهلع في عينيها الواسعتين وقد غطت فمها بإحدى كفيها، وإلى يسارها جلس شاب متوسط الطول دافنا رأسه بين كفيه وقد انخرط في بكاء صامت، وبجوارهما وقف رجل أربعيني ضئيل البنية اجتمع في عينيه قليل من الحزن مع كثير من الحذر، ثم شاب في الثلاثينيات تبدو عليه أمارات الجدية والكفاءة وقد لانت ملامحه بالتأثر، وأخيرا امرأة ممتلئة الجسد التمعت في عينيها إثارة جارفة طغت على أي شعور إنساني آخر قد يتناسب مع الفاجعة.

تأمّلهم المقدم أحمد، وتساءل في أعماقه: ترى، أي العيون تفصح عما بالقلب، وأيهم تزيفه؟

تفرّس في وجوههم عله يخمن علاقة كل منهم بالآخر، أو علاقة أي منهم بالجثة المنكفئة.

«هنعرف، هنعرف».. قالها لنفسه متصبرا، ثم أعاد ناظريه إلى الجثة يتأمل وضعيتها الغريبة: الرأس مائل إلى اليمين يكشف الجرح والثقب للعيان.

نظر إلى المسدس المُلقى بجوار الجثة ثم تأمّل ثانية الثقب الدقيق في الصدغ قبل أن يتساءل بصوت خافت:

«معقولة تكون انتحار؟!».

***

-2-

قبل البداية

دفع أدهم الباب الزجاجي للشركة وهو يهتف بمرح:

- صباح الخير جيجي.

جفل حينما اصطدمت عيناه بشخص آخر.

- صباح النور يا فندم.

أجابته فتاة شابة مختلفة تمام الاختلاف عن جيجي، وقد احتلّت مقعدها خلف مكتب الاستقبال في بهو الشركة الصغير.

نظر إليها أدهم بارتباك، فقالت بابتسامة واثقة:

- جيجي مشيت وأنا هنا مكانها.

لاحظت حيرته فأردفت:

- أنا أبرار، مديرة مكتب مستر عبد اللطيف الجديدة. أساعد حضرتك إزاي؟

«مسترا رمضان بطيخة بقى مونامور»، تمتم أدهم لنفسه، ثم، وإزاء نظراتها المتسائلة استدرك قائلا بصوت مسموع:

- يعني إنت السكرتيرة الجديدة؟

امتعضت وهي تجيبه:

- أنا مديرة مكتب، فيه فرق، كل وظيفة ليها مهام مختلفة.

- فعلا!

عقّب أدهم ساخرا، واتجه نحو باب غرفة مكتب رئيس مجلس الإدارة بثقة، فعاجلته أبرار قائلة بارتباك:

- مستر عبد اللطيف مش موجود.

- وماله هاستناه في المكتب.

ثم أردف مجيبا نظراتها المتسائلة:

- أنا أدهم.. ابنه.

قالها بطريقة مسرحية وهو يحني قامته قليلا، ثم دلف إلى غرفة المكتب وترك الباب يرتد خلفه في هدوء.

جلس على الكرسي المواجه لطاولة مكتب والده، وأخرج هاتفه وضغط بعض الأزرار.

- شيري صباح الفل، إنتي لسه نايمة؟ الساعة 12 الضهر، والله حسام ده غلبان معاكي.

- .....

- مش هتصدقي إيه اللي حصل ف الشركة.. بابا مشى جيجي وجاب مكانها سكرتيرة جديدة.. محجبة!

- قولنا اسمها مديرة مكتبه.

انتفض أدهم إزاء الصوت الذي همس بتلك العبارة بجوار أذنه ليجد أبرار أمامه.

- باي يا شيري دلوقت.

أنهى أدهم المكالمة ودسّ هاتفه في جيبه بارتباك ليجد أبرار قد أولته ظهرها وانهمكت في البحث عن شيء ما في المكتبة.

تأملها..

طويلة، رشيقة القد، ذات ظهر مستقيم أوحى إليه بالثقة والاعتداد بالنفس، ارتدت زيا أنيقا أشعره بتأنيب الضمير إزاء ما أوحى به لشيري أخته عنها. كانت ترتدي سروالا فضفاضا من قماش أسود هفهاف، مع قميص حريري أبيض ذي ياقة مربوطة على شكل «فيونكة» كبيرة، وقد غطّت شعرها بطرحة منقوشة ذات ألوان ربيعية، ربطتها خلف رقبتها في عقدة محكمة جعلتها تتدلى على ظهرها وتتحرك مع حركتها، هي والعقد ذي الأحجار السوداء اللامعة الذي تزيّنت به.

استدارت أبرار لتكمل بحثها في الأوراق الموجودة على سطح طاولة المكتب، فأنزل أدهم عينيه من عليها سريعا وانشغل بنفض ذرة غبار وهمية من على سرواله.

استمرّت أبرار بالبحث في انهماك وتؤدة متجاهلة وجوده تماما، فلم يملك سوى النظر إليها مجددا وقد أتاح له السطح اللامع المصقول لطاولة المكتب، تأمّل ملامحها..

كانت خمرية البشرة، ذات وجه بيضاوي ووجنتين ممتلئتين قليلا، وذقن مستدقة توحي بقوة الشخصية، وأرنبة أنف أكبر قليلا من المعتاد.

عيناها سوداوان واسعتان، مسحوبتان إلى خارج وجهها، تظللها رموش ساحرة..

أهذه هي العيون الكحيلة التي يتغنّون بها؟ تساءل في نفسه.

رفعت رأسها بغتة فوجدته ينظر نحوها فمنحته ابتسامة سريعة أظهرت صفًا من الأسنان البيضاء الكبيرة زادت وجهها جاذبية.

همّت بالكلام ولكن الباب فُتح، ودخل منه الحاج عبد اللطيف..

قام الحاج بتعارف سريع بين أدهم وأبرار ثم جلس على كرسي مكتبه بينما خرجت أبرار. انتظر أدهم حتى أغلقت الباب ثم انبرى قائلا:

- إيه يا بابا السكرتيرة دي! فين جيجي؟

- جيجي إيه بس يا أدهم.. هي مامتك كده، دايما تدبسني في ناس مالهمش ف الشغل. الحمد لله إني خلصت منها، أبرار دي خريجة تجارة إنجليزي وعندها خبرة كويسة، تبقى بنت الأستاذ كامل المصطفى، كانوا جيراننا أيام الحلمية، عمتك نادرة لسه على اتصال بعمتها وعرفت منها إنها سابت الشغل فاقترحت عليا تشتغل معانا، والصراحة لما قعدت معاها انبسطت وقلت هي دي.

- بس دي محجبة يا بابا.

- يابني هتعمل زي أمك؟ هي هتشتغل بشعرها ولا بمخها؟

- بس ماما لو شافتها مش هيحصل كويس!

- ليه يعني؟ دي مش أول موظفة محجبة في الشركة، ما عندك

مايسة..

- موظفين ورا المكاتب جوه حاجة، وواحدة واجهة للشركة وبتقابل العملا حاجة تانية، إنت نسيت ماما عملت إيه في عمتو لما اتحجبت؟

- مش فاكر، فكّرني.

- لما اتقابلوا في المول صدفة من كام سنة بعد ما عمتو اتحجبت على طول، وعمتو قالتلها وصليني في سكتك، فماما قالتلها بس تركبي ورا ماينفعش تركبي جنبي وإنتي بالحجاب هيفتكروني مركبة الشغالة جنبي. قامت عمتو بكل برود فتحت الباب اللي جنب السواق وقعدت، فماما قعدت تقولها انزلي والا هانزل أنا، فعمتو ماتحركتش من مكانها.. قامت ماما نزلت ورزعت باب العربية ومشيت.. خطوتين وسمعت صوت الموتور، بتبص وراها لقت عمتو دورت المرسيدس وبتتحرك بيها، وإنت عارف عمتو مابتعرفش تسوق، ماما شافت المنظر بقت هي اللي عمالة تصرخ وتجري ورا العربية، وطبعا فى الآخر عمتو وقفت العربية ورجعت قعدت فى الكرسي اللي جنب السواق وماما وصّلتها البيت من سكات.

قهقه الحاج بصوت عالٍ متخيلا المشهد، واهتز جسده الممتلئ مع ضحكاته..

- مامتك دي عليها حركات.

- بس على مين؟ دي برضه عمتو المعروفة بجبروتها.

- آه والله عندك حق.

عقّب ضاحكا قبل أن تظهر على وجهه أمارات الجدية ويردف:

- المهم إنت إيه اللي جابك عندي؟ مش ف مكتبك ليه؟

- هو أنت مصدق يا بابا جو مكتبي ده.. ما أنت عارف إني قاعد فيه بس علشان أرضيك.

- تاني يا أدهم، أومال يابني هاسيب كل ده لمين؟ صدقني، لو اديت نفسك فرصة هتحب الشغل، أومال بيزنس إيه اللي أنت درسته!

- بابا مش هنعيده تاني، آديني باحاول أرضيك وباجي الشركة كل يوم. المهم أنا جايلك علشان تكلملي عمو حسين، فتيس العربية علّق تاني.

- مانا قلتلك بلاش العربية دي، الفتيس بتاعها سمعته وحشة، أنت اللي ركبت دماغك.. عموما حاضر يا سيدي، هاكلمهولك حالا، وممكن عشري يوديهالك، وخد أنت عربيتي من الجراج، ما عنديش مشاوير النهاردة وممكن أرجع البيت مشي.

- حبيبي أنت يا بابا يا سيد الكل..

خرج أدهم من المكتب تاركا والده غارقا في أفكاره. كان يأمل الحاج عبد اللطيف أن يدير أدهم أعماله، فشيري -ابنته الصغرى- مدللة لا أمل منها، والعمر يجري، ولا يعقل أن يترك كل أعماله في يد حسام زوج ابنته!

ولكن ها قد مرت سنتان على أدهم وهو في الشركة بلا أي إنجاز يُذكر.. حتى بعد افتتاح الفرع الجديد للشركة منذ عدة أشهر

ومحاولة الحاج ترقية ابنه ليكون مديرا للفرع متحججا بكبر سنه ورغبته في الراحة، إلا أنه اصطدم برفضه.. «روح يابني ربنا يكرمك وأشوفك ناجح ومرتاح البال يا رب» تمتم بها الحاج وهو يغلق ملف أدهم في عقله ويستعد لمتابعة أعماله.

*

قطع انهماك الحاج عبد اللطيف في العمل صوت طرقات على بابه الذي انفتح ليطالعه وجه أبرار البشوش عادة، وهي عابسة تنظر إلى الأوراق بيدها في حيرة.

- خير يا بنتي؟

رمقت أبرار الأوراق وقلبتها بين يديها قائلة:

- الحسابات اللي جاية من عند مستر مهدي ملخبطة خالص، مش فاهمة منها حاجة.

- لا..

هتف الحاج ضاحكا ثم أردف قائلا:

- حسابات الحاج مهدي مش هيفهمها غير عبد الله مدير الحسابات، أومال أنا جبته معايا الفرع الجديد ليه؟ سيبيهاله وماتشغليش بالك بيها، أنا والحاج مهدي شركا من عشرين سنة، وعبد الله حافظ أسلوبه كويس. المهم إنتي تظبطيلي نظام الموظفين الجديد زي ما وعدتيني.

- حاضر يا مستر، كلها كام يوم ويبقى شغال إن شاء الله.

خرجت أبرار إلى مكتبها لتجد أن الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة بعدة دقائق، لقد بدأت ساعة الراحة اليومية. مدت يدها نحو حقيبتها وأزاحت القرد المخملي المتدلي منها وأخرجت كيسا بلاستيكيا به شطيرة صغيرة، قضمتها وهي تتأمل أركان المكتب وتتذكر كيف كانت منذ أسبوع واحد جالسة تبكي على مكتبها القديم بعد أن كرّر مديرها تجاوزاته تجاهها بشكل أكثر فجاجة من كل مرة. وكيف قررت التضحية براحتها في العمل والاستقالة وقد تعاظم وقتها شعورها باليأس وهي تعلم أنه قد تمر عليها شهور حتى تجد عملا آخر مناسبا.

وبرغم أنها لم تكن تعمل من أجل المال، إذ إن والدها ميسور الحال ويلبي طلباتها كافة، كانت تحب العمل وتكره ألّا تكون منتجة.

عادت إلى منزلها مبكرا ذلك اليوم لتجد عمتها العزيزة لديهم وقد أتتهم بالحمام المحشي بالفريك الذي يعشقونه من يديها.

لاحظت العمة هادية على الفور عيون ابنة أخيها المنتفخة وما إن سألتها حتى انهارت أبرار فى البكاء وهى تحكى لها عن تجاوزات المدير واستقالتها أخيرا. احتضنتها عمتها دون أن تعلّق وأمسكت بهاتفها المحمول تضغط أزراره ثم وضعته على أذنها منتظرة في صبر.

- نادرة حبيبتي إزيك.

شعرت أبرار بغصة تعتصر قلبها عند سماع الاسم، ألا تعلم عمّتها كم تكره نادرة؟!

دلفت أبرار غرفتها وهي تشعر بمزيج من المشاعر المتلاطمة، بيد أنها ما لبثت أن استجابت لطرقات عمتها الرقيقة وأدخلتها الغرفة فبادرتها العمة بالكلام قائلة:

- عارفة إنك مش بتحبي نادرة، مع إن هي مالهاش ذنب في اللي ف دماغك ده، عموما إنتي مش هيكون لك علاقة بيها، أخوها الحاج عبد اللطيف كان بيدور على مديرة شاطرة لمكتبه الجديد، وهو راجل كويس ومحترم، وبعدين الشركة في منطقة التجمع الخامس، على شارع التسعين على طول، يعني أحسن من شركتك القديمة ومشوار منطقة الدقي ده. أنا أخدتلك معاد مع الحاج يوم الأحد الساعة 10 الصبح، وأول ما نادرة تبعتلي العنوان بالتفصيل هابعتهولك.

ثم اقتربت منها واحتضنتها:

- حبيبة عمتو إنتي.

وجدت أبرار نفسها ترتاح في حضن عمتها الذي أصبح بديلا لها عن حنان الأم منذ أن توفيت والدتها منذ عدة سنوات.

وها قد مر الأسبوع سريعا، وهي الآن جالسة في مكتبها الجديد.

انتهت ساعة الراحة، وتلتها ساعات العمل حتى حان موعد الانصراف. لملمت أبرار أغراضها ونزلت إلى سيارتها ولكن المحرك أبى أن يدور. حاولت عدة مرات باءت كلها بالفشل. ترجّلت من سيارتها وأغلقتها، ثم أخرجت هاتفها لكي تطلب سيارة أجرة.

- واقف لوحدك ليه يا جميل؟!

عبست أبرار وأطلقت عيناها شذرا وهي تنظر تجاه قائل العبارة.

***

-3-

حنين

ارتبك أدهم إزاء نظرة أبرار النارية فرفع كفّه اعتذارا وهم بغلق نافذة سيارته، حينما لمح شبح ابتسامة في عيونها الكحيلة.

تسمّر إصبعه على زر غلق الزجاج وابتسم لها ابتسامته الطفولية الساحرة التي جعلتها تبتسم ابتسامة واسعة رغما عنها.

- آسف جدا، أنا فعلا باسألك واقفة ليه لوحدك؟ لو تحبي أوصلك.

- العربية مش راضية تدور فطلبت أوبر.

تأمّل أدهم سيارتها وهو يقول ضاحكا:

- ما هي الصراحة عربية قديمة قوي.

- بحبها.

ردت أبرار بحدة رافعة كتفيها باعتداد.

فارتبك أدهم مجددا.

- آه طبعا طبعا.. طب اتفضلي لحد ما أوبر يجي.

- لا شكرا مافيش داعي.

- هو إنتي على طول بتتعاملي رسمي كده؟

- رسمي إزاي؟

نظر إليها أدهم للحظة محاولا فك شفرتها ثم قال:

- شكلك كده عايشة دور «السترونج اندبندنت وومن»، مش بيعجبوني البنات اللي بيعيشوا الدور ده.

- مش لازم يعجبوك على فكرة.

أجابته أبرار بصوت جليدي، ثم أشارت نحو سيارة توقفت لتوّها أمامهما قائلة:

- ميرسي قوى... أوبر جه.

ابتعدت أبرار فضرب أدهم مقود السيارة بكفه قائلا في حنق:

- إيه اللي باقوله ده!

انطلق صوت نفير السيارة عاليا، فهبّ حارس أمن العقار من مكانه ملبيا.

- أؤمر يا أستاذ أدهم.

- معلش يا محروس الكلاكس اتضرب بالغلط.

راقب أدهم الحارس الأسمر النحيل وهو يعود إلى مقعده بمدخل المبنى ويمسك بهاتفه المحمول ويضع فيه وجهه.

- محروس ده مش هيبطل لعب جيمز غير لما الحاج يرفده.. واضح إن لفت النظر مافرقش معاه.

قالها أدهم لنفسه ثم زفر منفسا عن التوتر غير المبرر الذي اكتنفه منذ الصباح.

نظر إلى المبنى الإداري الفاخر الذي يضمّ فرع الشركة الجديد، لا

يزال تحت الإنشاء، ولكن والده أصر على افتتاح الفرع حتى يتسنى له إدارة أعماله بالمقر القريب من المنزل بدلا من قطع المسافة كل يوم لفرع الشركة الرئيسي بمنطقة العباسية.

فمنذ انتقالهم إلى الفيلا الجديدة بمنطقة التجمع الخامس، أصر الحاج على تأجير مقر جديد للشركة في المبنى الإداريّ المواجه للفيلا، وعندما تعثر مالك المبنى في الانتهاء من التشطيبات، قرر والده افتتاح الفرع ومباشرة الأعمال منه متجاهلا أي معوّقات.

حاول أدهم جاهدا أن يندمج في عمله مع والده بلا طائل، فهو لم يستطع أن ينسى حلمه بدخول كلية الهندسة ودراسة ميكانيكا السيارات لكنه يعترف أنه كان لعبيا ولم يكن يطيق الدراسة والمذاكرة، فخانه المجموع ولم يؤهله لبوابة أحلامه، وعليه فقد درس إدارة الأعمال على مضض إرضاء لوالده.

إنه على عكس حسام، زوج أخته شيري، وابن الحاج مهدي شريك والده، فحسام يعشق العمل، حتى أن شيري دائمة الشكوى منه، فلا تكاد تراه؛ اجتماعات وسفريات عمل متواصلة، وفى خلال زمن يسير أصبح حسام يدير أغلب أعمال الشركة، وأصبح والده يثق به ثقة عمياء، ولا يفوّت فرصة دون أن يشكر فيه ويعدد مناقبه.

كان أدهم قد خطط لتمضية باقي اليوم مع أصدقائه، ولكنه شعر بملل مفاجئ، فقرر أن يعود إلى المنزل مبكرا على غير عادته.

انطلق أدهم بسيارة والده، فداهمه حنين جارف لعمته نادرة، حنين عميق وغير مبرر جعله يغيّر اتجاهه، وينطلق نحو الحلمية، والبيت القديم.

*

طرق أدهم باب عمته وانتظر طويلا حتى سمع صوتها المميّز:

- مين؟

- أنا يا عمتو.

فتحت له نادرة الباب واقتنصته في حضنها بلا مقدمات.

- مالك يا ولد بتنهج ليه؟ 3 أدوار يقطعوا نفسك كده؟

- وحشتيني يا عمتو.

- تعالى ادخل.

تحركت نادرة باتجاه غرفة الجلوس في خفة وسرعة يتناقضان مع جسدها الممتلئ، أما أدهم فقد تبعها ببطء يجول بنظراته في أركان البيت الذي أوحشه.

السقف المرتفع وعبق الأثاث العتيق الممزوج برائحة الكتب، والنوافذ العالية التي برغم مساحتها الكبيرة قد تركت البهو معتما بسبب الشيش الخشبي الخارجي، وحبات الغُبار التي تقاربت لتشكّل غلالة ضبابية رقيقة داعبت عينيه مع أشعة الضوء المتخايلة التي اختلست لها مسارا عبر ريشة الشيش المكسورة.

آه! كم يحب بيت الحلمية وذكرياته مع جده وعمته الوحيدة التي لم تتزوج.

امتلأ البيت بعد وفاة جده بالعديد من قطع الأثاث الغريبة والكثير

من الكتب أيضا، أصبحت كل الأسطح والحوائط محتلّة بشيء ما، تُحف هندية، منمنمات صينية، لوحات سيريالية، وحدات إضاءة من النحاس والزجاج المعشق، وغيرها.

خطر له أن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون نتاج الشراء بالصدفة، وإنما لا شك أن مقتنيات بيت الحلمية لها قدرة خارقة على التوالد والتكاثر ذاتيا لتبلغ ذلك الكمّ المهول.

وبرغم أن عمته كانت بالأصل فنانة لم تكن تضع أيا من لوحاتها على حوائط المنزل، بل كانت تكوّمها لوحة فوق الأخرى في كومة غير متزنة في غرفتها، وقد شكل ذلك لغزا لم يستطع أحد سبر أغواره!

لِماذا ترسم لوحات جديدة ما دامت لا تدع لوحاتها القديمة لا ترى النور؟ سؤال لم يجرؤ أن يسأله!

دخل أدهم غرفة الجلوس ليجد عمته جالسة أمام التلفاز تتابع بشغف أحد المسلسلات التركية.

- قوم اعملنا كوبايتين شاي، وعلى بال ما ترجع يكون المسلسل خلص ونشرب الشاي سوا.

انطلق أدهم يسبح في طبقة الغبار الضبابية حتى وصل إلى المطبخ.

- عمتو.. مافيش ولا كوباية نضيفة، هو إنتي كان عندك عزومة ولا إيه؟

- يا ولد اغسلك كوبايتين وبلاش غلبة، صباح بقالها 3 أيام

ماجاتش وأنت عارف أنا باكره المواعين وشغل البيت قد إيه، صباح تغيب ما تغيب براحتها، هترجع تلاقي المواعين مستنياها.

- مش عارف إزاي حضرتك فنانة وفي نفس الوقت بيتك مهرجل كده!

- ما هو علشان أنا فنانة يا حبيبي، دماغي على طول هايمة وسرحانة كده في ملكوت الله، صعب قوي تقفشها وتكتفها وتخليها تعمل شغل البيت.. معلش اغسلك كوبايتين واعملنا الشاي وأنت ساكت.

- طب وإنتي كده مش بيجيلك صراصير؟

- أنت عمرك شفت عندي صراصير؟

- الصراحة لأ.

- علشان ربنا عارف إني ماليش في التنضيف، وهو بيحبني فأكرمني وعفى بيتي من الصراصير، علشان يجي صرصار زيك أنت يسأل ليه وإزاى!

- صرصارا ماشي يا عمتو الله يسامحك.

- أدهم باقولك إيه، اخرج من المطبخ وروّح وماتجيش هنا تاني، هاطلب شاي بالتليفون من القهوة اللي تحت.

- خليهم اتنين يا عمتو ويا دار ما دخلك شر.

عاد أدهم إلى الغرفة ليجد تتر النهاية للمسلسل، فجلس بجوار عمته قائلا:

- اديني نمرة القهوة أكلمهم، ولا أقولك، إنتي اتغديتي؟

- لسه.

- ما تيجي أعزمك على الغدا، يلا يلا.

نظرت إليه العمّة للحظة مقيمة الفكرة، ثم افترت شفتاها عن ابتسامة وهي تسأله:

- هتعزمني فين؟

- تاكلي صيني ولا هندي؟ أقولك، إيه رأيك ناكل سوشي؟

تجعد وجه العمة إزاء اقتراحات ابن أخيها وقالت بحسم:

- لا ده ولا ده.. أنت هتوديني عند القاهرة 30 في المقطم، وهتجيبلي ملوخية ورز بالشعرية ولحمة محمرة.

- بس كده؟ من عينيا، قومي البسي.

شدت العمة طرحة كبيرة من على ظهر الأريكة ولفتها على رأسها كيفما اتفق ونظرت إليه قائلة:

- يلا.

- خلاص كده؟

- أومال أنت فاكر إيه؟

ابتسم أدهم وهو يتأمل سروال عمته القطني الفضفاض الذي تزينه أفيال هندية كثيرة، وبلوزتها البيضاء الواسعة. قصر قامة عمته وامتلاؤها جعلاها في هذا الزي الواسع تبدو مثل الكرة، ولكنه أحجم

عن التعليق، إذ يعرف أن القاسم المشترك بين أزياء عمته جميعا هو مفهوم الراحة والبراح.

*

وصلا إلى المطعم واستطاع أدهم صفّ سيارته بسهولة على عكس معاناته في الركن قرب الأماكن التي يرتادها مع أصدقائه في منطقتي مصر الجديدة والتجمع الخامس.

دلفا معا إلى المطعم وجلسا إلى إحدى الموائد تغمرهما أنغام الرحباني، يسبح فيها صوت فيروز الشجي..

- يا سلاااام فيروز، مش الخبط والرزع اللي باسمعه لما بتنقي أنت مكان على ذوقك.

- ماشي يا عمتو، هانا‌ديلك الراجل تطلبيلنا على بال ما أشرب سيجارة بره.

- أنت مش كنت بطلت يا حبيبي؟

- بابطل وارجع.. ادعيلي يا عمتو.

قالها أدهم بابتسامة فاترة، فسألته:

- أطلبلك زيي؟

- ماليش في الملوخية، اطلبيلي كبدة وسجق.

- إيه؟ مش شامم ريحة التوم المدقوق بالكزبرة، ومقدوح في السمن البلدي، دي الملوخية بتاعتهم وشها بيلمع من السمنة وغرقانة في التقلية، ملوخيتهم دي مش أكلة يا حبيبي، دي أغنية.

قالتها عمته بشغف واضح فضحك، وسمعها تعقّب وهو يبتعد:

- هتندم..

تأملته نادرة من وراء زجاج المطعم وهو يشعل سيجارته ثم يدخنها في تلذذ. لم تكن تستسيغ أبدا منظر السيجارة في فمه، كانت تراها متناقضة مع ملامحه الطفولية التي لم تتغير في عينيها مهما مرت السنون.

كان أدهم متوسط القامة يميل إلى القصر كأبيه وأفراد عائلته، وكان ذا بشرة ناصعة البياض، ورثها عن والدته، كما ورث شعرها الكستنائي الناعم، الذي كانت دوما تتدلّى منه خصلة على جبهته العريضة المستطيلة لتضيف تأثيرا لاهيا ومرحا على ملامحه، وكان هذا التأثير متوافقا مع شخصيته المرحة المحبة للحياة، أما عيناه فكانتا عسلية اللون، ضيقتين نسبيا تجعلهما ابتسامته الدائمة مسحوبتين إلى الخارج، يعلوهما حاجبان كثّان. وكان ذا نظرة طفولية تجمع بين البراءة والجذل، عضدها طابع الحسن في ذقنه ليوحي بشخصية صاخبة وعفوية.

وكان يختار بين حين وآخر أن يترك ذقنه وشاربه في مرحلة الإنبات ليحظى بمظهر أكثر خشونة، محاولا تبديد الروح الطفولية التي تظلله.

ولكنه بالنسبة لعمته كان دوما «أدومة» الذي لا يكبر!

عاد أدهم واطمأن أن عمته قد طلبت الطعام ثم جلس يتجاذب معها أطراف الحديث، حتى سألها:

- إيه حكاية أبرار دي؟

ضاقت عينا عمته تتأمله، ثم ابتسمت في خبث وكأنها قد كشفت نصابا لتوّها.

- قول كده بقى! تصدق كنت متأكدة إن زيارتك دي لا يمكن تكون لوجه الله.

- ليه كده يا عمتو؟ وبعدين ده سؤال عابر.

- فعلا؟ طيب حيث سألت على أبرار، عايزين نفرح بيك.

- إيه العلاقة؟ وبعدين مش لما نفرح بيكي إنتي الأول؟

- أنت هتتريق عليا يا ولد؟

- أبدا والله.. أنا نفسي أعرف بجد إنتي ليه ماتجوزتيش؟ معقولة عمرك ما حبيتي؟

ابتسمت عمته ابتسامة خافتة.

- يااااه يا أدهم..

ثم شردت بعينيها بعيدا وهي تقول:

- من جهة حبيت، حبيت.. أيام الكلية، كان جارنا، وحبيته قوي، كان بيتمنى لي الرضا أرضى، وكان متهيألي إن الدنيا كلها مبسوطة معايا وإن مافيش حاجة ممكن تفرقنا، وكان واعدني يتقدم لجدك.

- وبعدين؟

- ولا قبلين، فجأة كل حاجة راحت! هو بدأ يتهرب مني، ولما

حسيت بكده كرامتي نقحت عليا.

- عارفك.

- طول عمري نحرورة، علشان كده انسحبت أنا كمان، وهو ما حاولش يكلمني ولا حتى يبعت حد يكلمني، وانكسر قلبي.. يمكن أبان قوية، إنما وأنا صغيرة كنت داخلة على الدنيا وعلى الحب بقلب قوي ومصدّقة.

- عمرك ما عرفتي إيه اللي حصل؟ كان بيلعب بيكي مثلا؟ طمعان في فلوسكم؟

أخذت نفسا عميقا وتنهدت ثم أجابته بنبرة فيها من الحيرة وفيها من الحزن:

- عمري ما عرفت إيه اللي حصل.. سألت نفسي مليون مرة وراجعت كلامنا مليون مرة، بس ماعرفتش حتى أخمن اللي جرى.. أينعم جدك كان أغنى منهم بكتير، لكن همه كانوا مستورين، وعمرنا ماتكلمنا في فلوس، ماعتقدش إنه كان طمعان، بالعكس نفسه كانت عزيزة.

- بس إنتي اتخطبتي مرة، صح؟

- قصدك د.محمود، كان دكتور عندي في الجامعة، شاطر قوي، وكنت منبهرة بشغله، فلما اتقدملي وافقت على طول، كان جوايا حتة كده عايزة أنتقم لقلبي اللي اتجرح وأتخطب بسرعة، وف نفس الوقت هو كان من عيلة كبيرة وغنية وجدك فرح بيه..

- طيب؟

- ماقدرتش.. فسخت الخطوبة بعدها بشهر واحد بالظبط.

- ليه؟

- من ناحية.. هو كان بيحب نفسه قوي، وكل كلامه عن نفسه، وأنا كنت محتاجة حد يحبني، يحبني يمكن أكتر من نفسه. ومن ناحية تانية ما قدرتش أعمل ف نفسي كده بعد ما كنت جربت طعم الحب الحقيقي. كنت قاعدة معاه في مرة، وكان عمّال يتكلم عن شغله، بصيتله.. وقلعت الدبلة وحطيتها ع الترابيزة قدامه ومشيت. قلت لنفسي أنا دوقت طعم الحب، ومش هينفع خلاص أتجوز من غير ما يكون موجود، وعنها.. ماتجوزتش فعلا.

عاد يسألها بجدية:

- يعني ماحدش قدر يقنعك أبدا؟

- أبدا.. تصدق! مع إني سيبت الباب موارب، وكان عندي استعداد أجرب وأحاول، لكن ما قابلتش حد يدخل من الحتة المواربة دي.. عموما أنا مبسوطة الحمد لله، الدور والباقى عليك أنت.. كنت بتسألني عن أبرار صح؟ بس على الله هي توافق.

- إيييه يا عمتو حيلك.. مبدئيا إنتي عارفة إني مش بحب المحجبات.

- إيه ده هي محجبة؟ ما كنتش أعرف.

ثم سألته بنبرة ذات مغزى:

- ومامتك سابتها عادي كده تشتغل معاكم؟

- ماما لسه ماتعرفش، إنما واضح إنها شاطرة علشان كده بابا شغّلها.

- تصدق، باباك ماقاليش إنها محجبة.

قالتها عمته متفكرة، ثم أردفت:

- وبعدين مالهم المحجبات؟ عيب عليك تبقى متعلم ومحترم وتفكر بالطريقة دي، بالعكس ده برافو عليها، أحسن من بنات كتير غيرها.

- اهه مين بقى اللي عنصري؟ ياما محجبات وأخلاقهم وحشة، اسأليني أنا.

- أنا لا يمكن أقول مين أحسن من مين، دي مش بتاعتي، الحجاب أمر من ربنا، زيه زي أوامر تانية كتير. وكل واحد فينا بيجاهد نفسه وبيحاول يعمل على قد ما يقدر، وفي الآخر ربنا وحده اللي يعلم مين القريب ومين البعيد. أنت مافهمتش قصدي، هي شغلتها بالذات دايما بيطلبوهم مش محجبات ومظهر حسن والكلام ده، والزمن اللي إحنا فيه حتى المحجبة بقت تخلع الحجاب، فطالما هي قادرة تواجه كل ده وتفضل محجبة، تبقى أكيد بنت قوية وعندها شخصية وواثقة من نفسها.

ابتسم أدهم فسألته:

- إيه؟

- بتوصفيها تمام.

قالها أدهم وهو يستحضر صورة أبرار بابتسامتها الجانبية الواثقة وظهرها المستقيم.

وفي ذات اللحظة، وعلى بعد أميال، احتلت سيرة نادرة والحب قلب أبرار، وعقلها.

***

-4-

كلام في الحب

استلقت أبرار في فراشها تفكر.. في ذاتها، وفي عمتها، وأمها وأبيها.. ونادرة!

لم يفض بها التفكير إلى شيء سوى مزيج من الحيرة والضيق فخرجت تبحث عن أبيها حتى وجدته فى الشرفة يقرأ. وقفت تراقبه للحظة ثم استجمعت شجاعتها وألقت عليه السؤال الذي عشش في دماغها كقنبلة موقوتة بلا إجابة، قنبلة ظلت خاملة لسنوات طوال قبل أن تنزع عنها الفتيل فجأة لتنفجر في وجه أبيها:

- بابا.. هو أنت ماتجوزتش نادرة ليه؟

رفع أبوها رأسه عن كتابه ببطء ونظر إليها بتؤدة حتى ظنت أنه شرد ولكنه ابتسم أخيرا.

- وإنتي إيه اللي فكرك بالسؤال ده دلوقتي يا أبرار؟ استنيتك سنين تسأليه بعد وفاة والدتك، لحد ما قلت إنك عمرك ما هتسأليه.

شعرت بالحرج فسألته بعصبية غير مقصودة:

- وآديني سألته، هتقولي الإجابة؟

صمت والدها صمتا أطول من الأول، ثم أومأ برأسه كمن استجمع أمره قائلا:

- هاقولك.. وهتبقي أول واحدة تعرف السبب بعد العمر ده كله. ياما

عمتك سألتني، وياما مامتك سألتني، وعمري ما قلتلهم، بس هاقولك إنتي يا أبرار.. اقعدي.

أطاعته أبرار وجلست وقد شابها استغراب خفيف إزاء الأجواء الحميمية التي لم تعتدها مع أبيها، وهي التي سألت سؤالها بدافع الغضب والغيرة.

- شوفي يا ستي.. أنا ونادرة كنا بنحب بعض، وكنا متفقين على الجواز، كنت في آخر سنة في الكلية، ومستني أخلص بفارغ الصبر علشان أتقدملها. همه كانوا أغنيا بحكم شغل والدها في التجارة، أخوها عبد اللطيف كان وقتها لسه خاطب واحدة من عيلة كبيرة، عيلة باشاوات سابقين. المهم، في يوم وأنا قاعد مستني دوري عند الحلاق اللي على أول شارعنا في الحلمية..

سكت أبوها للحظة يأخذ فيها نفسه فتحيّرت أبرار وهي تحاول إيجاد علاقة بين قصة حب أبيها المبتورة وبين انتظاره لدى حلاق!

- أبوها الحاج لطفي وصاحبه كانوا قاعدين بيحلقوا ويتكلموا، صاحبه كان بيقوله إنه جايب عريس لنادرة، وشي أنا طبعا جاب ألوان. مديت إيدي وخدت مجلة من قدامي أتدارى فيها. صاحبه قعد يحكي على العريس ويقول فيه شعر ولا كأنه قديس، لكن مش هانسى رد أبوها عليه لما قاله أنا لا يمكن أجوز نادرة جوازة أقل من جوازة أخوها، انسى الموضوع ده خالص، نادرة لازم تتجوز واحد غني ومن عيلة كبيرة. صاحبه حاول يناقشه فاتعصب وزعق وقاله والله لو كان نبي، نادرة مش هتتجوز غير واحد أغنى مني، واوعى تفكر تخليه ييجي يقابلني، هيحرج نفسه ويحرجك.. الحاج لطفي

قال الكلمتين دول وراح قايم مرة واحدة من على الكرسي ورمى فوطة الحلاقة ومشي، لدرجة إن موس الأسطى حسن علّم على خده ساعتها وبقيت كل ما أشوفه وأشوف العلامة دي، أفتكر إن نادرة لا يمكن تكون ليّا.

تأثرت أبرار بعبارة أبيها الأخيرة التي قالها بنبرة حزينة منكسرة. انتظرت أن يكمل ولكنه لزم الصمت.

- وبعدين؟

- بس كده.

- بس إزاي؟ نادرة عملت إيه؟ اتخلّت عنك بالبساطة دي؟

- نادرة ماتعرفش.

- ماتعرفش إيه؟

- ماتعرفش اللي أنا سمعته من والدها ده.

- يعني أنت فجأة اختفيت من حياتها كده؟

- .....

- بابا.. أنا آسفة.

- ماعرفتش أقولها إيه؟ من كتر الكلام واليأس والمشاعر المحبوسة جوايا ساعتها، حسيت إني صغير قوي، صعلوك زي ما باباها قال، ومالقتش حاجة أقولها ولا أعملها، غير الانسحاب. كنت غلطان طبعا، كان لازم أتكلم، وأعرّفها، وأخيّرها، إما تحارب معايا ونبقى سوا، أو تختار الفراق. كان منتهى الأنانية مني إني أختار

لوحدي، وإني أكتب نهاية حبنا لوحدي. كان منتهى الغباء مني إني ما أحاربش علشانها.. لكني كنت صغير وكرامتي كانت كبيرة قوي عندي.

تألمت أبرار للألم البادي على وجه أبيها العزيز، وشعرت بقليل من التعاطف يغزو قلبها تجاه نادرة، وهي التي رسمت في مخيلتها صورة لها كفتاة غنية مغرورة تعلّق بها والدها فرفضته من أجل المال، بينما ظلت محتلة أعماق قلبه، طاردة والدتها منه إلى الأطراف.

ولكن من أين أتت بهذه الفكرة الغريبة عن نادرة! احتارت أبرار..

أهي فعلا من وحي خيالها؟ نسجتها مشاعرها المرتبكة في فترة المراهقة وظلت تعتنقها حتى اليوم!

أم أنها سمعت كلاما متفرقا، قامت بغزله على هواها وسد ثغراته بخيالها حتى تحصل على قصة متماسكة تحتمي بها من الظنون؟

كانت بالفعل أسهل الإجابات أن تختار لنادرة دور الوحش في المسرحية الخيالية التي نسجتها لأبطال حياتها وهي صغيرة: الأم والأب، ونادرة.

- أنت حبيت فيها إيه؟ كان إيه فرقها عن ماما؟

سألت أخيرا السؤال الذي أرّقها وأفسد مزاجها لسنوات.

- كان فرقها كل حاجة..

إجابة طاعنة لم تتوقعها.

أردف والدها قائلا:

- ده مش معناه إني ما حبيتش مامتك، بالعكس أنا حبيتها حب كبير وحقيقي، بس حبي ليها كان مبني على المودة والرحمة، زي ما ربنا قال، وحبي لنادرة كان مبني على الانبهار، كنت متاخد بيها وبروحها، معاها كنت باشوف ألوان الطيف السبعة في لحظة، وأطراف صوابعي معاها كانت بتلمس السما وبتتلسع من النجوم.. يمكن لو كنت اتجوزتها ما كناش نجحنا، يمكن حياتنا كانت هتبقى ملخبطة، وكنت هافضل ألاحقها ومش لاحقها.. مش عارف. لكن اللي متأكد منه إن جوازي من مامتك ده كان اختيار ربنا لينا. وعلى فكرة أنا ماغشتهاش، هي كانت عارفة حكايتي مع نادرة من خالك رأفت اللي كان صاحبي وقتها، ومع ذلك اختارتني، وقربتلي، وفتحت لي قلبها، وسقتني من حنانها وعطفها.

احتلّ وجه أمها الطيبة خيال أبرار وأبوها يكمل قائلا:

- كانت عارفة إن حبي لنادرة جزء قديم ومدفون من كياني ومن أحلامي. نادرة كانت الخيال، ومامتك كانت الحقيقة، وكانت ست عظيمة مافيش زيها.. الله يرحمها.

نظرت أبرار إلى والدها الذي سكت عن الكلام ليتكلم الدمع في عينيه، وأيقنت أن والدتها كانت حية في قلبه.. كما أدركت أن المرارة التي حملتها تجاه نادرة طيلة سنواتها الثماني والعشرين لم يكن لها داعٍ، فمكانة والدتها لم تكن مهددة مطلقا..

تنهدت أبرار متذكرة حديثا لها مع والدتها منذ سنوات طويلة، كان ذلك قبل أن يتوفاها الله بأيام، عندما سألتها أبرار فجأة:

- ماما هو مين نادرة؟

- نادرة! إنتي إيه اللي عرفك بالاسم ده يا بنتي؟

صمتت أبرار مترددة هل تبوح لوالدتها بما رأته وهي ابنة العشر سنين، أم تظل على كتمانها، وروايتها التي نسجتها وآمنت بها.

- فاكرة يا ماما لما كنت في سنة ستة، وبابا عيي جامد، كنت خايفة قوي، وفضلت قاعدة طول الليل قدام باب أوضتكم، ساعتها سمعت بابا وهو بيردد اسم نادرة، وإنتي كنتي كل شوية تعيطي، ساعتها فهمت إن دي واحدة بابا بيحبها، وإنك زعلانة، ففضلت كل ليلة أدعي ربنا إن نادرة دي تموت علشان بابا يفضل معانا ومايسيبناش ويروحلها.

ابتسمت أمها ابتسامة متعبة.

- يااااه يا أبرار، معقولة الفيلم اللي عملتيه ده؟ ما سألتنيش ساعتها ليه؟ كنت فهمتك كل حاجة. بقالك سنين بتدعي على واحدة علشان سمعتي أبوكي بيقول اسمها!

- وعلشان شفتك بتعيطي.

ثم أطرقت بوجهها وقالت في خجل:

- يومها الضهر كانوا جايبين فيلم عصافير الجنة في التليفزيون، فخفت بابا يعمل معانا زي كمال ويسيبنا ويروح يعيش مع ست تانية.

جلجلت ضحكة الأم غير مصدقة خيال ابنتها الخصب ثم قالت

مفسرة:

- نادرة دي كانت جارتنا زمان في الحلمية، هي وأبوكي كانوا بيحبوا بعض، أبوها ماوافقش على الجوازة، فسابوا بعض، بس كده. أنا كنت باعيط ليلتها علشان قلقانة على أبوكي مش أكتر.

- إنتي وبابا اتجوزتوا عن حب؟

كانت أبرار تعلم الإجابة مسبقا، ولكنها أرادت فهم علاقتهما المتشابكة.

- لا يا حبيبتي، مانا باقولك أهو، كان بيحب نادرة.

قالتها والدتها ببساطة وهي منشغلة بتقميع البامية فشعرت أبرار بالغيظ.

- وإنتي عادي كده؟ وافقتي تتجوزيه وإنتي عارفة إنه بيحب واحدة تانية؟

ضحكت والدتها ضحكة سريعة ثم قالت:

- الصراحة آه، هو كان عاجبني، ولما عرفت من خالك رأفت إنه مافيش أمل يتجوز نادرة قلت دي فرصتي، كنت عارفة إنه بيحبها، بس قلت لنفسي ماحدش بياخد كل حاجة، اخترت أبوكي بأخلاقه وطيبته وجدعنته، ومش لازم يعني آخد قلبه كله، هاخد أنا حتة ونادرة حتة، جدتك الله يرحمها قعدت تقولي بلاش، هتتعبي ومش هتعيشي مبسوطة وإنتي عارفة إن فيه واحدة تانية في قلبه.. قلتلها أنا عارفة عايزة إيه، أنا عايزة أتجوز كامل، ومش لازم يحبني، هاحبه أنا، وهاتبسط معاه بمعرفتي.

صمتت أبرار وهي تحاول هضم منطق والدتها المباشر وتطبيقه على نفسها.. وكأن والدتها قرأت أفكارها.

- ما تفكريش كتير يا أبرار، إنتي مش زيي، واللي يرضيني مش هو اللي يرضيكي. أنا كنت عايزة أتجوز واحد محترم يعاملني كويس وأعيش معاه مرتاحة، لكن أنا عارفاكي كويس يا بنتي، إنتي مش هيرضيكي غير الحب.. وهتاخديه يا حبيبتي بإذن الله، بس إياك بقى تحافظي عليه وماتعمليش زي أبوكي.

قالتها وهي تضحك في بساطة آسرة لطالما أحبتها أبرار.

تنهدت أبرار وترحّمت على والدتها، ثم تفكرت مجددا في نادرة، هل ستجرؤ على كسر «التابو» الذي عشش فيها طويلا؟ والذي ظل ملازما لها حتى بعد أن علمت حقيقة نادرة من أمها قبل وفاتها؟

لم تجرؤ آنذاك على تغيير قناعتها، والتخلي عن القصة التي عاشت بها طويلا وأصبحت جزءا منها.. فهل آن الأوان أن تسامح نادرة بعد ما سمعته من أبيها اليوم؟ أم ستظل متمسكة بكرهها الفطري لها وفاء لعهد قطعته هي على نفسها ولم يفرضه عليها أحد؟

لاحظت أنها لم تعد تشعر بتلك الغصّة المريرة التي كانت تكتنفها كلما تردد اسم نادرة في مخيلتها.

تمددت في فراشها استعدادا للنوم وجددت عهدها القديم..

أيا ما كان قدرها، فهي لن تتزوج..

إلا عن حب.

***

-5-

آل مهدي

- أبرار! إيه المفاجأة دي؟

- عمر.. بتعمل إيه هنا؟

وقف أدهم ينقّل نظراته بين عمر وأبرار ويتابع الحوار الحماسي الدائر بينهما، ثم تدخل قائلا:

- ده عمر سكرتير بابا في الفرع التاني.

- قصدك مدير مكتبه.

قالتها أبرار وهي تبتسم، بينما سألها عمر باهتمام:

- وإنتي بتشتغلي هنا؟

- أبرار مديرة مكتب بابا، بدل جيجي.

أجابه أدهم في جفاء ثم سأل في فضول لم يستطع إخفاءه:

- أنتم تعرفوا بعض؟

- كنا زملا في الكلية.

- ياه دي كانت أيام.

- فاكرة سكشن دكتور محسن؟

- يوم ما عملتم فيه المقلب وخدنا كلنا صفر في أعمال السنة.

تبادل عمر وأبرار الذكريات الضاحكة بينما تابعهما أدهم بفتور ثم لم يجد بدا من الانسحاب إلى مكتبه في صمت.

بعد قليل انقطع حبل الذكريات بين عمر وأبرار، فدخل عمر للحاج عبد اللطيف بينما ظلت أبرار وحدها تتأمل الصدفة التي جمعتهما.

كان زميلا لها في كلية التجارة، تتذكر جيدا تفوقه ونبوغه الذي جعل أغلب الطلاب يحومون حوله يطلبون مساعدته ويقومون بتصوير دفاتره، تتذكر أيضا خجله وانغلاقه ومظهره المتواضع وإصراره على التميّز الدراسي.

كان يفترض أن يعيّن معيدا بالجامعة، ولكنه رفض وآثر العمل الحر، مبررا ذلك وقتها بأنه قد ملّ المذاكرة ويريد بناء نفسه بسرعة.

ويبدو أنه قد نجح في ذلك، فمظهره قد اختلف عن أيام الكلية، وإن كان لزيّه الطابع المحافظ التقليدي ذاته، فهو كما اعتادت رؤيته، يرتدي سروالا من القماش الرصاصي وقميصا رماديا ذا أزرار وحذاء جلدي أسود، إلا أن فرق الجودة بدا واضحا بين زي اليوم وأزياء الأمس.

أما نظارته، فقد تغير إطارها من البلاستيكي البني السميك، إلى المعدني الذهبي الرفيع، وكان لا يزال يرفعها إلى عينيه كلما شعر بالارتباك.

احتفظت أبرار لعمر بمعزة واحترام لاجتهاده وانضباطه، ولكنها كانت تتحيّر إزاء انغلاقه وتحفظه، ولم يخف عليها أنه حاول التقرب إليها في السنة الأخيرة من الدراسة، لكنها صدته بمزيج من الحزم

واللطف، فلم يكن طراز عمر يستهوي قلبها المنتقي.

أوقفت سيل ذكرياتها وانهمكت في العمل حتى رن هاتف المكتب قبيل ساعة الراحة بدقائق وردّت أبرار لتجده عمر:

- ما تيجي عند مكتب مدام مايسة جايبين غدا وهناكل مع بعض.

ترددت أبرار قليلا، فهي ليست اجتماعية لهذا الحد، ولكنها قررت الانضمام إليهم في محاولة منها للاندماج أكثر مع موظفي الشركة.

*

- اتفضلي.

قالها أدهم وهو يمد لها شطيرة ضخمة الحجم، فنظرت إلى عمر الذي قال:

- أدهم اللي عازمنا النهاردة.

- اخترتلك على ذوقي، كوردون بلو.

قالها أدهم وهو لا يزال مادا يده فلم تأخذ أبرار الشطيرة، بل قالت:

- شكرا على ذوقك، بس أنا مش باحب حد يختارلي الأكل، معايا ساندوتشات من البيت.

ثم جلست وبدأت تأكل شطيرتها المنزلية في صمت.

شعر أدهم بالإحراج، فمدت مدام مايسة يدها من فورها وأخذت منه الشطيرة قائلة:

- هات ولا يهمك، الواد حمادة ابني بيحب الساندوتشات دي قوي،

تسلم إيدك.

ترك أدهم الشطيرة بين يدي مايسة، وقد احتار إزاء أبرار، لقد حاول أن يرحب بها ويبدد شعورها بالغربة في الشركة كموظفة جديدة، أم تراه تعدى حدوده؟

ظل عمر وأبرار يتبادلان الحديث الذي كان يدور معظمه حول زملاء الكلية ومآل كل منهم اليوم حتى قاطعهما أدهم فجأة:

- عمر هو أنت مش راجع العباسية النهاردة؟

- النهاردة وبكرة ولحد آخر الأسبوع عندي شغل هنا مع الحاج، هو مابقاش يحب يروح الفرع القديم زي ما أنت عارف.

- تمام.

هتفت مدام مايسة قائلة:

- النهاردة ماتش الأهلي والزمالك، تفتكروا مين هيغلب؟

- الأهلي طبعا.

قالها أدهم في صوت واحد مع مايسة، بينما هتف عمر مع أبرار في ذات اللحظة:

- الزمالك.

ثم ضحكا، فقالت مايسة بسخرية:

- كلها كام ساعة ونضحك إحنا، وتدخلوا أنتو تكتبوا ع الفيس: سنظل أوفياء.

وقبل أن يرد عمر، دخل عليهم رجل في نهاية العقد الخامس من عمره، جاد المظهر حاد النظرات.

- أهلا أستاذ عبد الله، اتفضل معانا.

قالها أدهم مرحبا بمدير الحسابات الذي كان في السابق يداوم بالفرع القديم، حتى أصر الحاج على نقله إلى فرع التجمع إذ كان يعتمد عليه كثيرا في العمل، وفي الحدس السليم أيضا.

ابتسم الأستاذ عبد الله شاكرا ثم سأل:

- حد عنده فكرة أستاذ حسام راجع إمتى من السفر؟ محتاجه ضروري.

رد عليه أدهم قائلا:

- غالبا قبل آخر الأسبوع الجاي، عيد ميلاد شيري يوم الخميس، وأكيد حسام هيحضر.

- كل سنة وهي طيبة.

هتف عمر، بينما ردت أبرار على سؤال مدير الحسابات قائلة:

- أنا فعلا حجزت تذكرة رجوع لمستر حسام يوم الأربع بالليل.

- يااااه، لسه قدامه أكتر من أسبوع! لما الأستاذ حسام بيغيب، الدنيا بتتلخبط.

ردت عليه أبرار قائلة:

- لو تحب حضرتك أبعتله أي إيميل اتفضل معايا على المكتب.

تفكّر عبد الله للحظة ثم نظر في ساعته قائلا:

- لسه فاضل نص ساعة على ما الاستراحة تخلص.

قامت أبرار من فورها وقالت بحماس:

- مش مشكلة خالص، أنا باحب الشغل أكتر من الراحة.

وخرجا معا صوب مكتبها.

*

مرّت عدة أيام على أبرار في العمل وبرغم انغماسها فيه وفي استكشاف وتعلّم آليات الإدارة بالشركة كان فضولها تجاه حسام وترقبها لمقابلته يزيدان يوما بعد يوم.. فالجميع يتكلمون عنه وعن إدارته الفذة للأعمال، خاصة عمر الذي أشار إلى ذلك أكثر من مرة.

كانت قد التقت في أيامها الأولى بالعمل بالحاج مهدي، والد حسام وشريك الحاج عبد اللطيف وعضو مجلس النواب المرموق. وقد رأت فيه شخصا صاخبا ودودا كثير الضحك، على عكس الحاج عبد اللطيف الهادئ المتزن قليل الكلام.

تراءت لها شراكة الحاج مهدي كشراكة شرفية أكثر منها فعلية، ربما لأن دوره كعضو مجلس شعب لعدة سنوات متتالية استحوذ على كل وقته، وعليه فقد ناسبه جدا اضطلاع حسام ابنه بالأعمال دونا عنه.

لاحظت أبرار أن الاختلافات بين الشريكين لم تنحصر في العمل فقط بل امتدت إلى المظهر أيضا.. فالحاج مهدي كان طويلا ضخم الجثة، يرتدي دوما بذلة رسمية ويضع على كتفيه عباءة بنية كبيرة

موشاة الأطراف بخيوط الذهب فزادته ضخامة. وكان شديد السمار ذا رأس كبير وملامح ضخمة ونظارة ضخمة أيضا، بينما خط الشيب شعره الكثيف.

على عكس الحاج عبد اللطيف الذي كان متوسط البنية يميل إلى القصر، ممتلئ الجسم، يرتدي عادة قميصا وسروالا فلم تره ببدلة رسمية إلا مرة واحدة، وكان شعره قد تراجع كثيرا عن مقدمة رأسه، فكان رأسه الدائرى الصغير يبدو كالبيضة اللامعة، وكان ذا شارب رمادي مميز، يتحرك كلما تكلم.

انكفأت أبرار على مكتبها تراجع ملفا ما في تركيز، حينما سقط عليها ظل ضخم.. رفعت رأسها تلقائيا متوقعة أن ترى أمامها الحاج مهدي، ولكنها وجدت شخصا له نفس الهيئة بملامح أصبى بكثير، وكأن الزمن قد عاد بالحاج مهدي ثلاثين سنة إلى الوراء.

وقفت أبرار، وقبل أن تتكلم بادرها الدخيل:

- إنتي السكرتيرة الجديدة؟

رفعت أبرار عينيها إلى أعلى في يأس ولم تكلف نفسها تصحيح المصطلح مجددا، وهو أيضا لم يعطها فرصة.

- أنا سيف، أكيد سمعتي عني.

لم تسمع عنه من قبل.

- بابا هنا؟

استنتجت أنه ابن الحاج مهدي من الشبه ومن الأريحية، فجازفت

قائلة:

- حضرتك تقصد مستر مهدي؟ هو كان هنا ومشي.

- مستر؟ واضح إن الشركة هتتطور قوي على إيديكي.

قالها سيف ضاحكا وأصابعه تعبث بالسلسلة الذهبية التي تحيط برقبته. اكتنف أبرار شعور مفاجئ بعدم الراحة فنحته جانبا قائلة بأسلوبها المهني المعتاد:

- حضرتك تحب تقابل مستر عبد اللطيف؟

- آه ممكن.

قالها سيف ثم جلس على المقعد أمامها. لم تفهم أبرار ما عليها فعله، ترددت قليلا ثم جلست وحاولت متابعة عملها ولكن رائحة عطر سيف الثقيلة تخللت أنفها كضيف سخيف يفرض نفسه مبددا تركيزها.

لاحظت أن سيف قد ورث بنية أبيه من حيث الطول والعرض والسمار، ولكن شعره كان أسود لامعا تنتهي خصلاته الطويلة الملتفة أعلى الكتف، وكان الثراء ينضح من كل ما يخصه، بما في ذلك علامة المرسيدس الذهبية الكبيرة التي تدلت من سلسلة المفاتيح التي ما فتئ يلفها حول إصبعه في حركة تكرارية.

- أهلا سيف، إنت هنا من إمتى؟

راحة فورية اكتنفت أبرار.

- أدهم إزيك.. كنت باسأل على بابا بس السكرتيرة قالت إنه مشي.

امتقع وجه أبرار إزاء ردّه البعيد عن الصحة فظن أدهم أنها تضايقت من مسألة «السكرتيرة» فقال مصححا:

- اسمها مديرة مكتبه.

- يا سيدي ماتدقش، مين عارف مش يمكن أرجع أشتغل معاكم تاني، وساعتها تبقى سكرتيرتنا كلنا.

قالها سيف وهو يخبط بكفه على كتف أدهم، أتبعها بضحكة صاخبة، خرج على إثرها.

- ضايقك ف حاجة؟

سألها أدهم مهتما.

- مايقدرش يضايقني أصلا.

أجابته في إباء فزمّ أدهم شفتيه وهمّ بالخروج ولكنها سألته في اهتمام:

- هو فعلا كان بيشتغل معاكم؟

- من سنتين.

أجابها أدهم باقتضاب وخرج.

انتهزت أبرار فرصة بدء الاستراحة وذهبت صوب مكتب مايسة تسألها:

- هو سيف كان بيشتغل معاكم هنا؟

- سيف؟ ابن الحاج مهدي؟ أيوة.. بس مش هنا، في الفرع القديم،

دي كانت فضيحة وقتها.

قرّبت مايسة فمها من أذن أبرار وانطلقت تحكي جميع التفاصيل عن الموضوع وعن الموضوعات التي بجانبه، لم يتوقف فمها عن الكلام لحظة حتى انتهت فترة الاستراحة..

عادت أبرار إلى مكتبها تتفكر في ما عرفته عن سيف، لقد داوم بالفعل عدة أشهر في الفرع الرئيسي للشركة بناء على اقتراح من الحاج مهدي تحمّس له الحاج عبد اللطيف كثيراً في حينها، مستبشراً بدور حسام أخيه المميز في العمل.

ولكن عندما حل الجرد، اكتشفوا نقص مبلغ كبير من المال، اعترف سيف بأخذه معللا ذلك بأن المال مال أبيه ومن حقه الأخذ منه وقتما يشاء. لم يحاول إنكار التهمة، أو حتى الاختلاس بشكل غير مكشوف.

غضب الحاج عبد اللطيف وأصر أن يترك سيف العمل رافضا إعطاءه الفرصة الثانية التي طلبها الحاج مهدي.

وقد فهمت أبرار من مايسة أنه برغم طيبة الحاج عبد اللطيف وسماحته البادينين، لكن الأمانة لديه قيمة لا يقبل المساس بها حتى من ابنه.

لم يتدخل أدهم وقتها، أما حسام، وبخلاف التوقعات، أيد الحاج عبد اللطيف في موقفه، وطالب أباه بتنحية سيف معلنا أنه سيتكفل بأي أموال يطلبها أخوه شريطة بعده التام عن الشركة.

بدا للجميع وقتها أن الحاج مهدي استسلم، ولكنه ما لبث أن كرر

محاولاته مع الحاج عبد اللطيف كي يعيد سيف إلى العمل، ولو بدون راتب، وبعيدا عن أي أموال حتى لا يختلس مجددا، معللا ذلك بأنه يريد لابنه أن يصبح رجلا، ولن يجعل منه رجلا سوى العمل. كرر الحاج عبد اللطيف رفضه بإصرار لم يتزحزح، مردّدًا مقولته الشهيرة:

- الأمانة مافيهاش فصال.

فهل كان يعلم ما يخبئه القدر!

***

-6-

نساء بيت عبد اللطيف

دخل أدهم الفيلا فتناهت إلى مسامعه أصوات نسائية متداخلة من جهة غرفة الجلوس التي تطل على الحديقة، ابتسم وهو يفك شفرة الأصوات؛ النبرات الحادة الأرستقراطية لوالدته، صافيناز، أو «صافي» كما تحب أن ينادوها، أما النبرات الرقيقة السريعة فهي لأخته الصغرى شيري.

خرجت والدته من الغرفة إلى البهو تتبعها شيري، وعندما رأته بادرته سائلة:

- أومال فين باباك؟

- جاي ورايا يا ماما.

فُتح باب الفيلا مجددا ودلف منه الحاج عبد اللطيف، ومن ورائه عشري السائق الذي كان يحمل حقيبة الحاج وعدة حقائب بلاستيكية. وما إن رأتهما صافيناز حتى انطلقت نبراتها الحادة تجلجل في البهو:

- إيه ده يا لطيف؟ إيه ده يا عشري؟

- خير يا هانم؟

- خير يا صافي؟

- لبسك يا عشري، لبسك المبهدل، إيه يا لطيف؟ فين بدلته؟ كام

مرة قلنا «الشوفوغ» لازم يلبس بدلة مخصوصة، هالاقيها منه ولا من أم شيماء، يا جماعة حرام عليكم مش معقولة كده.

رمق الحاج ابنه أدهم بنظرة شكوى باسمة فمنحه أدهم بدوره ابتسامة تعاطف سريعة قبل أن يتحرك نحو السلم مؤثرا الهروب من المعركة المتكررة، إلا أن والدته استوقفته..

- استنى يا أدهم، عايزاك.

عاد أدراجه متثاقلا فبادرته قائلة:

- عايزين نتفق على عيد ميلاد شيري.. أنا باقول نعمله في فيلا السخنة، الجو حلو دلوقت، بس شيري مش راضية، عايزة تعمله هنا.

- ما شيري براحتها يا ماما.

أضاء وجه شيري.

- يعني إيه براحتها؟ كلكم براحتكم يعني؟ طب وأنا؟ أنا عايزة أغير جو.

- ماما إنتي لسه راجعة من مراسي الأسبوع اللي فات.

- أيوة وقلتلكم إني مانبسطتش، الجو كان برد خالص.

- ماحنا قلنالك إن الجو هيبقى برد ماصدقتيناش، وقلتيلنا إن طنط شاهي كانت هناك وانبسطت.

صمتت والدته وقد تعكّر وجهها، بينما نظرت له شيري في أمل، فقال محاولا إرضاء كل الأطراف:

- إحنا نعمل عيد ميلاد شيري هنا الخميس ولو عايزة تغيري جو، آخدك الجمعة الصبح ونطلع يومين السخنة.

انفرجت أسارير والدته:

- «دو ريان» حبيبي، علشان خاطر أختك بس. ها.. هتعزموا مين؟

- أنا عايزة المرة دي، إحنا وعيلة حسام وبس.

- لا بقى.. سامع بنتك يا لطيف، عايزة تبوظ علينا المناسبة، بدل ما نعزم كل أصحابنا ورجال الأعمال.. مش المناسبات دي مهمة لشغلك؟ قولها.

نظر الحاج لوجه ابنته المتوسّل، ثم قال:

- نبقى نعمل حفلة تانية ليهم مخصوص، إنتي وراكي إيه يا ستي؟ بلاش نزعل شيري.

انطلقت شيري تحتضن أباها بينما طقطقت صافيناز بلسانها معترضة..

- أنت مدلعهم يا لطيف.. عموما اطلعلي الأوضة عايزاك.

ثم وجهت كلامها لعشري الذي أمل أن تكون قد نسيته:

- وأنت يا عشري لو شفتك بالبهدلة دي تاني هامشيك، الناس يقولوا إيه لما يشوفوك بالمنظر ده؟ يلا اتفضل.

ولّى عشري هاربا بينما اتجهت هي نحو السلم إلى غرف النوم بالأعلى. تأملها أدهم وهي تصعد الهوينى، وابتسم.. كان مغرما بأمه رغم كل شيء.

حياتها الخاصة التي عاشت فيها بانغماس تام، والتي ربما كانت ما فتن والده بها بالتحديد، عالمها المختلف ذو التفاصيل المخملية الذي لا يشبه في شيء عالم الأعمال الرمادي البارد.

ربما يظن الناظر لها أن حياتها تدور حول نفسها، ونفسها فقط، ولكنها في الحقيقة كانت تحب أولادها حبا جما، وتحاول إسعادهم.. بطريقتها.

كانوا يفهمونها، ويتفاهمون معها، رغم صعوبة ذلك أحيانا لما تعتنقه من أفكار أرستقراطية مرهقة، مدركين أنها بشكل ما، هي من تضفي على البيت السعادة والهناء والألوان.

حافظت صافي على جمالها وأناقتها متجاوزة الزمن بشكل لافت للنظر. حتى أن شيري في طفولتها كانت تناديها بمامي باربي، لتشابهها مع عروستها الأثيرة، وكانت صافي تستحق اللقب عن جدارة، بقوامها الدقيق وشعرها الناعم المصبوغ بلون الذهب، وبشرتها شديدة البياض التي كانت تحرص على الاهتمام بها باستخدام مختلف مستحضرات التجميل، وبالطبع لم يخلُ الأمر من بعض «البوتكس» هنا و«الفيللر» هناك، كي تدحض آثار الزمن، وتظل باربي الفاتنة. كما وأن حرصها على ارتداء أغلى الأزياء وأحدثها، وتنوّعها في الاختيارات بين الأزياء الرسمية والعصرية والناعمة والرياضية والمنزلية، كل ذلك جعلها باربي فعلا.

كان والده يحب أن تكون له باربي، فكانت، ولا زالت.

أحبتها عمته نادرة أيضا، فبرغم كون والدته شخصية مستفزة

بالنسبة لنادرة، وقد توقّع أن تحكم عليها بأنها تافهة واستهلاكية، بيد أن حب أخيها لها وإخلاصها له ولبيتها وأولادها، أسر قلب نادرة، فأحبتها.

كانت لقاءاتهما دوما مشتعلة بالكلمات المتراشقة، ولكن وراء تلك المشاهد المثيرة، كان يكمن التعاضد. وقد ظهر معدن تلك العلاقة للعيان، حينما نشأ خلاف كبير بين صافي والحاج في مقتبل شبابه، عندما تقربت منه إحدى الموظفات لديه، مما أثار حفيظة صافي وغيرتها فأصرت على طردها من الشركة، بينما رفض أبوه وقتها ذلك الطرح بإصرار لم يستطع أدهم تفسيره.

تدخلت نادرة وانحازت لصافيناز تماما، بل وفي نفس اليوم جاءت لتلك الموظفة بوظيفة أخرى في شركة قريبة وبضعف الراتب، مما وضع أباه في موقف محرج واضطره للموافقة على مضض، وتم تسجيل الانتصار في تلك الواقعة لنساء بيت عبد اللطيف.

*

دفع الحاج عبد اللطيف باب جناح النوم متوجسا خيفة، فقلما تطلب صافي مخاطبته بهذه الجدية وعلى انفرادا!

وجدها جالسة تطلي أظافرها بعناية، بينما عبقت المكان رائحة الطلاء النفاذة ممزوجة برائحة عطرها المميّز.

- خير يا صافي؟

- لطيف، أنت لازم تتكلم مع حسام، الموضوع زاد قوي.

- حسام! ماله؟ ده مسافر، ولسه قدامه أسبوع على ما يرجع.

- أيوة أيوة، بس شيري مش مبسوطة، مش شايف مطفية إزاي؟

لم تكن تعبيرات مثل «مطفية» تفسّر الكثير للحاج الذي كانت لغته تتمحور حول الأرقام والحسابات.

- يعني إيه؟

- حسام طول الوقت بيشتغل وشيري على طول لوحدها.

- وبعدين يا صافي في الدلع ده؟ مش أنت وشيري اللي أصريتم على الجوازة دي؟ قلتلكم حسام ده بتاع شغل، شيري عايزة واحد فاضي يدلعها ويبقى حواليها طول الوقت، بس كلامي ما عجبش.

- ما الحاج مهدي قال إن حسام هيتغير بعد الجواز.

- ساعتها قلتلكم إيه؟ ماحدش بيتغير بعد الجواز.. وقلت إن ده كلام بيقوله مهدي علشان يتمم الجوازة، وزيتنا يبقى ف دقيقنا، لأن مهدي مابقاش فاضي، وعايز يتفرغ لمجلس الشعب، هيعمل إيه غير إنه يخلي ابنه يمسك له الشغل؟ فالجوازة دي تضمنله إن الشراكة اللي بيننا ما تنفضّش.

- يعني إيه؟ خدنا مقلب؟

- ماقلتش كده.. حسام ولد كويس ومحترم وجدّ، إنما هو بتاع شغل ومش هيتغير. وإنتي عارفة إن شيري دلوعة، وهو مالوش ف الدلع. فاكرة قلتلك إيه ليلة كتب الكتاب؟ إني حاسس إن حسام مش بيحبها، فاكرة ردك؟ قلتيلي مش مهم، المهم إنها بتحبه وهتبقى مبسوطة لو اتجوزته، مش مبسوطة ليه دلوقت؟

أطرقت صافي برأسها قائلة في خفوت:

- كنا فاكرينه هيحبها.

اغتاظ عبد اللطيف من منطق زوجته، واغتاظ أكثر من نفسه لموافقته على إتمام الزيجة رغم عدم اقتناعه. فإن كانتا -زوجته وابنته- غير بارعتين في تقدير مثل تلك الأمور، فكان الأولى به أن يأخذ على عاتقه الرفض حتى وإن تسبب ذلك في حزن أو غضب حينها.

لقد تراخى، وشعر بالضعف إزاء إصرار ابنته، وإلحاح شريكه، والآن لا يعرف ماذا يفعل!

- طيب يا صافي، هافكر في الموضوع وأشوف ممكن أعمل إيه.

استعادت صافي حماستها قائلة:

- تفتكر لو عاشوا لوحدهم في شقة الرحاب ولا الفيلا بتاعة مدينتي يبقى أحسن؟

زفر الحاج غيظه قائلا:

- مانا قلت من الأول يتجوزوا في شقة لوحدهم مارضيتيش، وقعدتي تقوليلي نفسي بنتي تعيش معايا وماتبعدش عني وحسام بيسافر كتير والفيلا عندنا واسعة، إيه اللي غير رأيك؟

- باقول يمكن هو سايبها علشان عارف إنها معانا، لكن لو قاعدة لوحدها هتصعب عليه.

حاول الحاج استيعاب منطق صافي الأنثوي، ثم استوقفته

تفصيلة ما..

- إنتي بتقولي الرحاب ولا مدينتي؟ وما يسكنوش ليه في الفيلا بتاعة مهدي اللي ف الكومباوند اللي ورانا؟

- ما هم باعوها، أنت ماتعرفش؟

- باعوها! ليه؟ وإمتى؟ ماحدش قاللي؟

- علشان يشتروا شقة في نيويورك؛ حسام يتابع منها البيزنس بتاعكم اللي هناك.

- غريبة! ما حدش قال يعني، وبعدين البيزنس بتاعنا اللي هناك لسه على قده، مش مستاهل شقة وإقامة!

- سيبك من الموضوع ده دلوقت، أنا جاتلي فكرة حلوة قوي علشان حسام يخلي باله من شيري.

- خير؟

- أنت تلمح لحسام أنه لو شيري فضلت مش مبسوطة معاه هتفض الشركة مع باباه وهتاخد منه الشغل.

اتقدت عينا الحاج وقفز من على مقعده في غضب قائلا:

- إيه اللي إنتي بتقوليه ده يا صافي، إنتي اتجننتي؟

انكمشت صافي إزاء ثورته.

- إنتي عارفة كله إلا الشغل، ولو كنتي فاكرة إن حسام هو اللي محتاجنا تبقي غلطانة، إحنا اللي محتاجينله دلوقت بعد ما أغلب

شغل الشركة بقى ف إيديه، أنا لا يمكن أدخل الشغل في الكلام الفارغ بتاعكم ده.

وجدت صافي صوتها أخيرا فسألته بنبرة مبحوحة:

- طب و.. وعمر.. ماينفعش يمسك هو الشغل؟

- برضه؟ عمر مين اللي يمسك الشغل؟ عمر لسه فاضل عليه كتير، وحسام كمان ربنا مديله الموهبة، مش أي حد يملا مكانه، لو كان ابنك مسك الشغل كان الوضع اختلف، اسكتي يا صافي ونامي أحسن، بدل ما أقول كلام مش عايز أقوله.

- طب بس...

- أقولك.. أنا خارج.

قالها الحاج وأعقبها بالخروج وصفع الباب وراءه بعنف.

***

-7-

دعوة

جلس الحاج عبد اللطيف في الحديقة يحتسي قهوته مستمتعا بشمس الصباح قبل ذهابه إلى الشركة.

كانت أهدأ لحظات يومه تلك التي يقضيها وسط الحديقة الغناء، خاصة بعد اعتدال الجو، فكان يحتسي فيها القهوة صباحا، والشاي الممزوج بالميرمية في المساء.

مر حسام بحميه في الحديقة أثناء خروجه فناداه الحاج.

- إيه يابني اللي صحاك بدري؟ ده أنت لسه واصل من كام ساعة.

- لازم أجري على فرع العباسية علشان أتمم على كام حاجة، وبابا برضه مكلفني بشوية مشاوير كده.

- مش يستنى عليك تريح من السفر؟

تجهّم وجه حسام ولم يرد، فقال الحاج مغيرا الموضوع:

- ماتنساش عيد ميلاد شيري النهاردة.

- كويس إن حضرتك فكرتني، دلوقت شيري فاجئتني إنه هيبقى يوم عائلي، وأنا الصراحة كنت حابب عمر ياخد علينا أكتر، إيه رأيك؟

- طبعا طبعا معاك حق، مافيش مشكلة، اعزمه وأنا هاتصرف ف الموضوع ده.

- تمام، تحب أوصل حضرتك؟

- لا أنا مستني أدهم.

انطلق حسام وظهر أدهم في ذات اللحظة.

- بتفكر في إيه يا بابا؟

- حسام هيعزم عمر على عيد ميلاد شيري النهاردة، بيقول عايزه ياخد علينا، ومعاه حق، نفسي الولد ده يغير من أسلوب لبسه وكلامه، عايزه يبقى واجهة للشركة علشان أقدر أخليه يتعامل مع العملا أكتر من كده.

- طيب فين المشكلة؟

- أنت مش عارف مامتك؟ هتقولي عزمت حد غريب، ومايعرفناش، ولازم نعزم له حد معاه.

- إيه رأيك نعزم أبرار كمان؟ منها برضه تاخد علينا، ومنها هي وعمر كانوا زملا وواخدين على بعض فماما مش هتحس إن فيه حد منهم غريب أو قاعد لوحده.

- والله فكرة، أنا كنت هاقول لمامتك إن رنا جاية بس عارف إنها هتقولي سيب أدهم ورنا ف حالهم.

قالها الحاج وهو يرمق أدهم محاولا استشفاف انطباعه عن العبارة الأخيرة، ولكن أدهم تجاهل فحواها قائلا:

- هتقول لأبرار يا بابا ولا أقولها أنا؟

- هاقولها أنا.

- قولتوا لعمتو؟

- مش عارف مامتك قالت لها ولا لأ.

- هاقولها احتياطي، خلصت قهوتك؟ يلا بينا.

*

دخلت أبرار بيتها بعد يوم حافل من العمل لتجد عمتها تشرب الشاي مع أبيها في دعة.

سلّمت عليها أبرار ودخلت حجرتها فاستبدلت بملابس العمل أخرى منزلية مريحة، وأعدت لنفسها قدحا من الشاي هي الأخرى وانضمت لهما، نظرت عمتها إلى لبسها المنزلي باستغراب.

- إيه اللبس ده، إنتي مش رايحة عيد الميلاد؟

- هو حضرتك عرفتي منين إني معزومة؟

- نادرة كلمتني النهاردة تطمن على أخبارنا، وقالت لي إنها رايحة عيد ميلاد بنت أخوها وإنك معزومة.

- أيوة فعلا.. بس أنا مش هاروح.

- ليه يا أبرار؟ ما يصحش.

- عمتو أنا أروح عيد ميلاداتهم بتاع إيه؟ أنا باشتغل ف الشركة وبس، مابحبش التلزيق ده، إيه يحشرني مع عيلتهم؟

نظرت العمة إلى أبي أبرار فابتسم وآثر الصمت. انبرت العمة ثانية:

- يا بنتي مايصحش يعزموكي وما تروحيش، وبعدين مش العيلة

بس اللي هتكون هناك، ما عمر زميلكم معزوم برضه.

- هو حضرتك كنتي معانا في الشركة ولا إيه؟

ابتسمت العمة ولم تعقب، فقالت أبرار:

- وبعدين فيه حد يعزم حد في يومها؟ أنا كنت عاملة حسابي أقعد معاكم النهاردة براحتي.

- ماتحبكيهاش، هاجيلكم بكرة من بدري ونقعد سوا، ها؟

تدخل والدها قائلا:

- ممكن تروحي نص ساعة بس وترجعي.. ويبقى اسمك لبّيتي الدعوة.

- لو مش عايزة تسوقي أخلي تامر يوصلك، هو في مشاوير هنا قريب مننا وكان هيجي يروحني بالليل.

قفزت إلى مخيّلة أبرار قيادة ابن عمتها المتهورة فآثرت السلامة قائلة:

- هاروح بالعربية يا عمتو.

- لحسن تعطل منك هناك بالليل.

ثم قالت لأخيها:

- إيه يا كامل، لازم تغيروا العربية دي.

- بتحبها يا ستي.

- بتحبها تبقى تحط صورتها في المحفظة، لكن ليه البهدلة؟

أسرعت أبرار إلى غرفتها، هربا من ضغط عمتها، وجلست على فراشها تفكر.. كانت مترددة في الذهاب، تشعر أن ليس لها مكان في تلك المناسبة العائلية، إلا أن فكرة وجود عمر خففت من الأمر قليلا، كما أنها لا تريد رفض دعوة رئيسها في العمل الحاج عبد اللطيف، خاصة مع الاهتمام الأبوي الذي يبديه نحوها.

تفكّرت للحظات ثم أجمعت أمرها، وقامت بفتح خزانة ملابسها لانتقاء زي مناسب.

*

ترجّلت أبرار من سيارة الأجرة أمام الفيلا مباشرة، ونقدت السائق أجره لتسمع من يحييها:

- أبرار، إزيك؟

التفتت خلفها لتجد عمر الذي قال في ارتباك:

- كويس إننا وصلنا سوا، دي أول مرة أجيلهم البيت.

نظرت أبرار إلى القصر المنيف الذي يقبع على ناصية من نواصي شارع التسعين الشهير، وشعرت بتعاطف تجاه هذا البناء الفاره الذي نعته عمر بالبيت. كانت البوابة الأمامية مفتوحة لاستقبال الوافدين، فظهرت منها حديقة مترامية الأطراف تفصلهم عن القصر.

رحب بهما حارس الأمن المنوط بالبوابة وأشار لهما بالدخول.

تباطأت خطوات عمر وهو يتأمل المكان بعيون واسعة وأنفاس مبهورة.. تأملت أبرار بدورها أركان الحديقة المزدانة بالأشجار

المورقة وشجيرات الزهور المختلفة، يلفّها عبير رقيق هو مزيج من روائح الفل والياسمين ومسك الليل، مع صوت خافت لخرير ماء لم تتبين مصدره، بينما توسط الحديقة مسبح كبير انعكست عليه الأضواء في مشهد ساحر، وتناثرت حوله المقاعد والمظلات المغلقة، وتزينت الأشجار من حوله بفروع نور أضفت بهجة وضياء.

توقفت خطواتهما أمام مدخل القصر المكسو بالرخام المصقول، وعلى جانبيه ارتفع عمودان من المرمر، وفي وسط المدخل الرخامي قبعت فسقية من الفسيفساء الزرقاء تنبعث منها المياه لتفسر صوت الخرير.

وقفت أبرار مع عمر أمام باب القصر الخشبي الضخم المطعّم بالنحاس، وقبل أن يقوم أحدهما بطرقه انفتح لهما، ووجدا أمامهما حسام وفتاة شابة جميلة توقعت أنها شيري.

سمعت أبرار صوت نفس مشدوه من عمر، فخمّنت أنها المرة الأولى التي يرى فيها شيري على الحقيقة.

كانت شيري ترتدي فستانا واسعا من الحرير الأبيض، يكشف الذراعين وأعلى الصدر وينتهي قبل الركبتين بقليل، بدت كعروس صغيرة بقامتها القصيرة وقوامها الممتلئ قليلا، وعينيها الضاحكتين، وابتسامتها التي تظهر نغزتين أخاذتين في وجنتيها، بينما انسدل شعرها الكستنائي المتموج على كتفيها في رقة.

كانت جميلة.. وقد أُخِذ عمر بها.

أما الباقون، فالتفّت عيونهم حول أبرار في فضول، كانت تمثّل لهم

طرازا لم يعتادوه.

بحجابها الأبيض الذي التف حول وجهها بإحكام وقد تركت طرفيه ينسدلان على ظهرها كعادتها، وقد اختارت أن ترتدي بلوزة حسنة التفصيل بلا أية تفاصيل، ذات لون أزرق ملكي زاهٍ، وتنورة من الساتان الأبيض تزينها رسوم سريالية مختلفة الألوان يغلب عليها البنفسجي والوردي والأزرق الملكي. كانت التنورة تضيق عند الخصر وتتسع كثيرا بالأسفل، ويحد طرفها كنار أزرق زاهٍ يتلامس مع الأرض، ولا يرفعه عنها سوى كعب حذائها العالي. أما زينة وجهها فقد اقتصرت على ماسكارا للعيون وملمع شفاه ورديّ.

بدت بعينيها الكحيلتين، وردائها السابل، وصوت حفيف تنورتها، كأميرة عربية أبية.

- أهلا أهلا اتفضلي، أنا شيري، وإنتي لازم أبرار، سمعت عنك كتير.

- اتفضل يا عمر واقف ليه.. اتفضلي يا أبرار.

دلفوا إلى الداخل ليجدوا أنفسهم أمام صافي التي تفاجأت بها أبرار، فهي لم تكن تتوقع أن تكون زوجة الحاج عبد اللطيف ووالدة أدهم جميلة ورشيقة وصغيرة إلى هذا الحد، ثم تبينت حينما اقتربت منها أكثر أنها ليست صغيرة كما تبدو، وإنما الديكور العام هو الذي أوحى بذلك، وإن ظلت رشيقة وأنيقة بسروالها الجينز المطرز وبلوزتها البيضاء الهفهافة.

رحبت صافي بأبرار في برود ونظرات متفحصة، أنقذتها منها عبارة حسام:

- واقفين ليه؟ اتفضلوا.

جلس الجميع، وتشكّلت المجموعات بين فرادى ومثنى وثلاث.

جلست أبرار وحدها بينما تجاذب حسام وعمر أطراف الحديث وبجوارهما شيري ملتصقة بزوجها تحاول متابعة الحديث الدائر باهتمام، بينما بدا عمر شاردا وفاقدا لتركيزه الذي يميزه عادة.

كانت فرصة كي تراقب أبرار حسام عن كثب بعد أن سمعت عنه الكثير.. رأت أنه ورث عن أبيه الحاج مهدي طول القامة، ولكنه لم يكن بنفس الضخامة، له شارب، وذقن سوداء كثيفة. كانت نظراته وحركاته وسكناته تتسم كلها بالجدية والرغبة في الإنجاز، وكأنه ليس لديه ما يضيعه من وقت.

أو..

تفكرت أبرار..

إنه لا يحب ما يفعله!

كان يبدو كمن يعيش دورا ما، مفروضا عليه، أو ربما قضاء لواجب فرضه هو على نفسه، فبدا أنه لا يجد ما يثيره أو يمتّعه في ما حوله سوى العمل.

***

-8-

خطيبته!

- «مستر سيف آند ميس رنا هاف آرايفد».

أعلنتها بصوت خافت الخادمة الأجنبية دقيقة القوام، آسيوية الملامح.

نظرت أبرار نحو الباب مستطلعة، فوجدت سيف بقامته الضخمة وشعره اللامع يدخل في صخب، وبجواره من يفترض أنها رنا، وقد بدا من تقاربهما أنها خطيبته، أو أخته!

تأملتها أبرار.. طويلة القامة هي أيضا، سمراء، نحيلة، تبرز عظام وجنتيها وترقوتها في وضوح، وملامح وجهها فيها شبه كبير من آل مهدي، فرجّحت أن تكون أخت سيف بالفعل.

كانت جذابة بشعرها الأسود الثائر الذي تموّج حول وجهها، وعينيها الواسعتين وفمها الرفيع المشدود الذي أوحى بالصرامة وربما قليل من القسوة. ارتدت رنا بلوزة سوداء كشفت عن كتفيها مع سروال ضيق من الجينز الأزرق الفاتح وحذاء ذا كعب عال أضاف لها طولا لم تكن بحاجة إليه.

رحبت بهما صافي واقتادت الجمع إلى غرفة الطعام البيضاوية الواسعة.

تراصّت أطباق الطعام المختلفة على منضدة جانبية طويلة؛ أطباق الخبز والجبن والسلاطة ثم أواني التقديم الفضية المغطاة، التي

ظلت ساخنة المحتوى بفعل شمعة صغيرة أسفل كل منها.

قاموا بملء أطباقهم ثم جلسوا حول المائدة البيضاوية يتناولون الطعام. جاءت جلسة أبرار بجوار امرأة قصيرة وممتلئة، كانت هي المحجبة الوحيدة بينهم، وفيها بعض الشبه من أدهم لولا اختلاف لون البشرة.

مالت عليها المرأة قائلة ببشاشة:

- أنا نادرة.

ابتسمت أبرار تلقائيا إزاء ابتسامتها، ثم تجمدت إذ استوعب عقلها الاسم. اختلطت عليها مشاعرها وألحّ عليها سؤال مرتبك: «أحبها أم أكرهها؟».. فلم تكن أبرار قد حسمت تلك القضية حتى اللحظة.

وجدت فمها يبتسم ثانية استجابة لابتسامة نادرة الحانية، فارتخت استسلاما للقرار الذي اتخذه حدسها سابقا لعقلها.

- كان نفسي أتعرف عليكي من زمان يا أبرار، سبحان الله إنتي شبه كـ...

بترت نادرة عبارتها فجأة، فأكملت أبرار بلطف:

- شبه بابا صح؟

أمّنت نادرة قائلة:

- صح، وواخدة طوله كمان.

راقبهما أدهم وقد شعر براحة استغربها لرؤية الحوار الدائر بينهما، بينما تجاهل عن غير قصد، أو ربما بقصد، رنا الجالسة بجواره فلم

ينبس معها ببنت شفة.

سألت شيري في حبور وفخر:

- إيه رأيكم في البيتزا؟ أنا اللي عملاها بإيديا.

لم يرد أحد فقالت صافي:

- قلتلك البيتزا مالهاش مكان جنب الأكل ده يا شيري.

- بس حسام بيحبها، عجبتك يا حبيبي؟

أجابها حسام:

- مش بطالة، هي ملسوعة شوية من تحت، ومجلّدة شوية من فوق. هي ليه دايما بتطلع معاكي كده؟ حاولي تغيري الطريقة.

- ما دي طريقة جديدة والله.

ردت شيري بصوت مختنق.

- جربي تعلي نار الفرن، النار المتوسطة هي اللي تخلي العجينة تتلسع والجبنة تجلد.

قالتها أبرار ببساطة فاتجهت العيون نحوها، وعلّق حسام:

- واضح إنك شاطرة في الطبيخ.

- لا خالص.. أنا قريتها على الفيسبوك.

رمت شيري المنديل على المنضدة بعصبية وقامت قائلة:

- أنا خلاص شبعت، عن إذنكم.

عاتبت صافي حسام بنبرة خافتة:

- ماكانش حقك زعلتها يا حسام، أنت عارف إنها بتحاول تتعلم الطبيخ مخصوص علشانك.

- يا طنط قلتلها ميت مرة إن الطبيخ ده نفس وإحساس، والاتنين مش عندها، كفاية تجارب بقى وتشغل نفسها بحاجة تانية.

قال حسام العبارة الأخيرة بنبرة أعلى عن غير قصد فنظر إليه الجميع مما أشعره بالحرج فقام هو الآخر قائلا بابتسامة مغتصبة:

- تسلم إيديكم، هاروح أشوف شيري.

انتهت فقرة الطعام، وظهر حسام مصطحبا شيري، وقام بتقديم هديته لها.. خاتما من الماس تهلّل له وجهها فرفعت نفسها بتلقائية ولفت ذراعيها حول رقبة زوجها في سعادة بدّدت التوتّر بينهما، فقاما بإطفاء الشموع معا وتقطيع كعكة عيد الميلاد.

- اتفضلوا ناخد الشاي والحلو في الجنينة.

قالتها صافي وهي تتقدمهم نحو الحديقة. وما إن استقروا في جلستهم حتى وجّه الحاج مهدي كلامه لابنه قائلا:

- حسام، عايزك تسافر بكرة مارينا تحل المشكلة بتاعة الفيلا اللي كلمتك عنها.

تجهّم وجه حسام، فتدخل الحاج عبد اللطيف قائلا:

- حسام لسه جاي من السفر على الشغل على طول، ما تبعت سيف.

- سيف عنده بكره سباق عربيات وأنت عارف هو بيحب السباقات

قد إيه.

- ما يروح السبت.

- لا السبت أنا وهو حاجزين مساج مع الدكتورة السويسرية اللي قلتلك عليها، وبعدين هو حسام اشتكى لك؟

صمت الحاج عبد اللطيف على مضض، بينما اقتربت منه رنا قائلة بنعومة:

- مش هتسيبلي توكيل الملابس الرياضية بقى يا أونكل؟

عضدها الحاج مهدي قائلا:

- إيه يا لطيف، ماتدي البنت التوكيل اللي هي عايزاه.

تغيّر وجه الحاج عبد اللطيف.

- رنا في مقام بنتي يا مهدي، إنما الشغل شغل، والتوكيل ده أنا اللي وقفته على رجليه ومعايا بقاله سنين، عندها توكيلات تانية كتير غيره يا سيدي.

ثم وجه كلامه لرنا قائلا:

- شوفي أي توكيل تاني وأنا أجيبهولك.

- يا أونكل أنا عايزة ده بالذات.

- إيه يا لطيف؟ هتكسر بخاطر البنت؟ مش كفاية مش عايز ترجّع سيف الشركة؟ يرضيكي كده يا مدام صافي؟

ابتسمت صافي محرجة، بينما ظهر الغضب على وجه الحاج عبد

اللطيف وهمّ بالكلام، فتدخل حسام ملطّفا:

- جرى إيه يا بابا مش اتفقنا مانفتحش الموضوع ده؟

- يعني يرضيك أخوك يفضل من غير شغل؟ وأنت عارف إن دماغه حلوة.

ثم وجّه كلامه لشريكه قائلا:

- جرّبه تاني، ده دماغه أنضف من حسام على فكرة.

وقف الحاج عبد اللطيف وهتف بغيظ مكظوم:

- مهدي.

شعرت أبرار بالإحراج من الحوار الدائر، وأرادت أن تنسحب، وأن تخفف من حدة الموقف في آن واحد فوقفت قائلة:

- أستأذنكم أنا علشان اتأخرت.

- لسه بدري يا أبرار مالحقناش نتكلم.

قالتها نادرة محاولة إثناءها عن الرحيل.

- معلش يا طنط مرة تانية علشان مش معايا العربية وهاركب تاكسي.

قام أدهم قائلا:

- أنا هاوصلك.

تدخّل الحاج مهدي قائلا بصوت مرتفع:

- ماتخلي عشري يوصّلها يا أدهم، أنت مالحقتش تقعد مع خطيبتك خالص.

تجمّدت نظرة أبرار على يد أدهم اليمنى باحثة عن أية إشارة لارتباط رسمي، بينما انبرى سيف قائلا:

- أنا هاوصلها.. خليك أنت مع رنا يا أدهم.

حسمت أبرار الجدل الدائر قائلة بنبرة حادة:

- «ميرسي».. أنا مش باركب مع حد غريب، أنا طلبت أوبر خلاص.. عن إذنكم.

ثم انطلقت مسرعة نحو البوابة بعد أن شكرت مضيفيها وسلمت على نادرة.

جلست أبرار في سيارة الأجرة وسندت رأسها على ظهر المقعد وقد ظلت كلمة واحدة فقط تتردد في رأسها..

«خطيبته!».

*

دخل أدهم على والده في غرفة مكتبه بالشركة، وقد اكتسى وجهه بغضب مكتوم.

- مالك يا أدهم؟ من ساعة ما الناس مشيوا إمبارح وأنت مش مظبوط.

وكأنما ضغط الحاج على زر.

- عاجبك يا بابا اللي عمله الحاج مهدي إمبارح؟ هو مين قال إن رنا خطيبتي؟

- إيه يا أدهم مش اتكلمنا في الموضوع ده؟

- لكن أنا ماوافقتش!

- ماحنا اتأخرنا قوي في الرد عليهم، ومامتك قالتلي إنها حاسة إنك هتوافق.

- يعني إيه يا بابا؟ فيه حاجة اسمها كده؟ حرام عليكم.. سيبولي حاجة واحدة أختارها في حياتي، أنا اتخنقت.

ظهرت أمارات الجدية والقلق على وجه الحاج وهو يؤكد:

- أدهم أنا مستحيل أجبرك على جوازة أنت مش عايزها.

ثم أردف وقد لان صوته:

- بس إحنا شايفين إن رنا بنت مناسبة.. شيك وجميلة، وشاطرة في البيزنس، هتساعدك تقف على رجليك، وأخت جوز أختك، وبنت شريكي، يعني هتعوز إيه أكتر من كده؟

- دي حاجات أنتم اللي تعوزوها.. لكن أنا.. أنا هاعوز إني أحب.

قالها أدهم في حرارة أثّرت في قلب أبيه فابتسم ابتسامة دافئة شجّعت أدهم أن يكمل بنبرة مترددة:

- مش يمكن أكون بحب واحدة تانية أصلا؟

- لو فيه واحدة عجباك قل لي هي مين وأنا أخطبهالك من بكرة.

- وماما؟

- سيب ماما عليا، هي مين بقى؟

- مين؟

- البنت اللي أنت عايز تخطبها؟

تراجع أدهم قائلا:

- مافيش حد يا بابا.. أنا باقول يمكن.

امتعض الحاج.

- يعني إيه يمكن يا أدهم، إحنا هنهزر؟

- لا يا بابا.. أنا اتضايقت إن الحاج مهدي قال كده قدام الناس وأنا لسه ماوافقتش. ماحبش حد يفرض عليا حاجة.

- ناس مين؟ ما كلنا عارفين.

- أبرار.

هتف بها أدهم فاتسعت عينا أبيه بنظرة ذات مغزى جعلته يستدرك قائلا:

- وعمر.. وعمتي.. بابا، لو ليا خاطر عندك بلاش نفتح الموضوع ده تاني، على الأقل فترة كده لحد ما أعرف أنا عايز إيه.

- طيب يابني، اللي تشوفه.

سمعا طرقات رقيقة على باب غرفة المكتب فنادى الحاج يأذن بالدخول ليطالعهما وجه أبرار وقد ارتسمت عليه أمارات بالجدية.

- مستر عبد اللطيف، عايزة حضرتك في حاجة مستعجلة.

قام أدهم قائلا بارتباك:

- طيب أنا هامشي، زي ماتفقنا يا بابا.

خرج أدهم بينما جلست أبرار وبدأت في شرح مطلبها. شرد الحاج عبد اللطيف في أفكاره الخاصة على نبرات صوتها الرخيمة حتى اضطرت لتنبيهه:

- حضرتك معايا؟

- معلش يا بنتي سرحت.

- لو حضرتك مشغول أرجع كمان شوية.

افترّ ثغر الحاج عن ابتسامة متعبة.

- أنا على طول مشغول، إن ماكانش بالشغل، يبقى بالبيت والولاد، نفسي يعيشوا متهنيين، أنا باعمل كل ده لمين غيرهم؟ وهما في الآخر لا مرتاحين، ولا مبسوطين!

استغربت أبرار أن يفضي لها الحاج بهمومه، واحتارت في ما تقول وهي التي لا تعلم عن أسرته إلا أقل القليل، ولكن صمته وجبهته المتجعّدة في همّ شجعاها لكي تتكلم:

- صعب حد يبقى مبسوط طول الوقت لأن الانبساط شعور لحظي، إنما الرضا حال ممكن نعيشه، هما مش راضيين عن حياتهم؟

انتبه لها الحاج وكأنما تفاجأ بردّها.. كان يحدث نفسه ولم يتوقع

منها ردا، صمت لحظة ثم قال مؤمنا:

- هما فعلا مش راضيين عن حياتهم، ومش عارف ليه!

- علشان يبقوا راضيين لازم الأول يعرفوا هما عايزين إيه وبعدين يتحركوا ناحيته.. وجود هدف والسعي باتجاهه بيخلق توازن نفسي وحالة من الرضا.

- شيري كانت عايزة تتجوز حسام، وأهي اتجوزته، وبرضه مش مبسوطة، وأدهم.. نفسي يحب شغل الشركة، ويتجوز رنا بنت مهدي علشان شوية بشوية أسلّم كل واحد منهم جزء من الشركة يديره.

كررت أبرار عبارته:

- يشتغل في الشركة، ويتجوز بنت شريك حضرتك، زي ما حسام عمل بالظبط.

- بتقولي إيه؟

- لا أبدا، حضرتك كمّل.

- سبحان الله يا بنتي، الحاج مهدي ده طول عمره مش بتاع شغل، مالوش غير في الكلام والهمبكة، وشوفي ابنه جد في الشغل إزاي، ولا بنته اللي ماتمتش التلاتين وعندها شركات باسمها، وأنا.. ولادي يطلعوا كده!

احتارت أبرار من أين تبدأ.

- هما مبسوطين؟

- مين؟

- مش حضرتك قلت نفسك ولادك يكونوا مبسوطين، وبعدين ضربت المثل بولاد الحاج مهدي، باسأل حضرتك هما مبسوطين؟

- أكيد.

صمتت أبرار، فتردد الحاج ثم صرّح:

- شوفي.. حسام جد شوية، لكن أكيد مبسوط إنه حقق حلمه إنه يمسك الشركات ويتجوز شيرى.

- هو ده كان حلمه؟ ولا حلم حضرتك والحاج مهدي؟

احتار الحاج ولم يرد.

- مش عايزة حضرتك تزعل مني، أنا لما باتكلم من جوايا مش باعرف أزوّق الكلام، بس الصراحة أنا ما حسيتش إن حسام مبسوط، أنا حسيته بيؤدي واجب عليه. حرام حضرتك تعمل في أدهم زي ما الحاج عمل في حسام، حضرتك اصبر عليه لحد مايعرف هو عايز إيه. لو لقى نفسه، حضرتك هتكون أكتر واحد مبسوط، صح؟

كرر الحاج عبارة أبرار متأملا:

- لقى نفسه!

ثم انفكت أساريره.

- معاكي حق يا بنتي معاكي حق. أنا مبسوط إني اتكلمت معاكي، بتفكريني بأبوكي، كلام كله عقل وحكمة، يا ريتنا كنا فضلنا أصحاب. المهم قوليلي كنتي عايزاني في إيه؟

شرحت له أبرار المشكلة العاجلة التي واجهتها فقام بإجراء عدة مكالمات حتى تمّ المراد، فانسحبت أبرار لمباشرة أعمالها، وما إن خرجت حتى ابتسم الحاج وقد شعر نحوها بإعجاب مفاجئ جعله يتمتم قائلا:

- ربنا يحميكي يا بنتي، مكسب حقيقي للي يشغلك.

ثم أردف لنفسه بابتسامة ذات مغزى:

- واللي يتجوزك.

***

-9-

اسمع قلبي

صار أدهم نهبة للارتباك والضيق في ظل معاملة أبرار الجافة التي تجاوزت ما اعتاده منها من جدية. قرر مهاتفة عمته نادرة علّها تفك تشابكات نفسه المبهمة. طرق معها العديد من الموضوعات، حتى انتهت كل الموضوعات المحتمل ذكرها، فبادرته هى أخيرا:

- مش تقولي يا أدهم إنك خطبت رنا.

اغتاظ أدهم لعبارة عمته.

- أنا ماخطبتش رنا، وماقلتش حتى إني موافق.

- أصلك ماعلقتش لما مهدي قال كده، فكلنا ساعتها افتكرنا إنكم مخطوبين.

- كلهم عارفين إنه مش حقيقي.

- وأبرار؟

- .....

- ماقلتلهاش إنه مش حقيقي؟

- ماجتش فرصة.

- ولو الفرصة ما جاتش، بنعمل إيه؟

احتار أدهم في الرد.

- بنروح نجيبها يا أدهم.. هاعلّم فيك لحد إمتى؟

قالتها عمّته ثم أطلقت ضحكة طويلة وأنهت المكالمة. ظل أدهم يفكر في عبارة عمته.. «بنروح نجيبها!»، حتى وجد قدميه تقودانه إلى مكتب أبرار التي كانت منهمكة في الكتابة على الحاسب اللوحي أمامها.. شعرت بدخوله فرفعت عينيها إليه وقالت بآلية وهي تشير إلى الباب:

- أهلا مستر أدهم، خطيبة حضرتك لسه ماشية، كنت عايزها؟

- خطيبتي؟

- ميس رنا.

سحب أدهم المقعد المقابل لمكتبها وجلس عليه فرفعت حاجبيها تنتظر ما سيقول فمنحها ابتسامة آسرة وصرّح:

- رنا مش خطيبتي.

ثم مد كفّيه أمامها قائلا:

- وزي ما إنتي شايفة مافيش دبلة.

ارتبكت من نظراته وابتسامته فقالت في سرعة:

- ده موضوع ما يهمنيش.

- يهمني أنا.. يهمني تكوني متأكدة إني مش خاطب ولا مرتبط.

بزغت ابتسامة صغيرة على شفتي أبرار رغما عنها فأشاحت بوجهها وتظاهرت بالبحث في بعض الملفات على سطح طاولة

المكتب، فاتسعت ابتسامة أدهم وتنفس الصعداء.

*

مرت الأيام.. واقترب أدهم من أبرار.

حيّرته بجديّتها وتحفظها وعزة نفسها فكان يجد نفسه يحوم حولها ولا يستطيع الفكاك من حرمها. وهي.. تعجّبت لتبسّطه ومرحه الدائم، ثم أدركت أنها منجذبة إليه لهاتين الصفتين تحديدا.

تكرّرت المرات التي اجتمعا فيها مع عمر ومايسة لتناول وجبة خفيفة في وقت الراحة، كما بدأ اسم أدهم يتكرر في جلسات أبرار المسائية مع جارتها مها.

كانت مها صديقة أبرار منذ الطفولة بحكم الجيرة، فنانة تشكيلية بوهيمية تتعارض كلية مع شخصية أبرار العقلانية المنظمة، فأضفى ذلك الاختلاف بعدا مميزا لعلاقتهما. عملت مها كمنسقة ديكور في معرض أثاث قريب من المنزل، فكانت كثيرا ما تمر بأبرار في الأمسيات تحتسيان معا أقداح القرفة باللبن وتتبادلان أطراف الحديث، أو تطلبان طعاما بواسطة خدمة التوصيل.

- ما تيجي نطلب فطير يا أبرار، نفسي في حاجة حادقة.

- لا مش قادرة خالص.

- ليه؟ كلتوا إيه النهاردة في المكتب؟

- سوشي.

- سوشي؟ أبرار كلت سوشي! ده أنا بقالي سنيين باتحايل عليكي

تجربيه وإنتي مش راضية، إيه اللي حصل؟

- أدهم أصر إني...

قاطعتها مها:

- آه أدهم.. طالما الموضوع فيه أدهم يبقى مافيش داعي تكملي.

ثم أردفت بخبث:

- الموضوع شكله بيتطور.

- بيتطور إزاي يعني؟ لا خالص، أدهم بيعزمنا كلنا مش أنا بس، بيحب يشجع الناس يجربوا الحاجات اللي هو بيحبها.

- وإنتي؟

- مالي؟

- إيه رأيك في أدهم؟

- ليه السؤال ده؟

- آدينا بندردش يا ستي.. طالما مافيش فطير.. على الأقل ندردش. ها إيه رأيك فيه؟

افترّت شفتا أبرار عن ابتسامة وهي تقول:

- هو طيب.. لطيف.. بسيط.

ثم تجهّم وجهها وهي تستدرك:

- بس فيه حاجات كتير بتغيظني.

- زي؟

- مبدئيا السجاير.. إنتي عارفة إني مش باطيق ريحتها، وكمان بياخد كل حاجة بهزار، وأسوأ حاجة إنه مش ناجح في شغله.

- ما يمكن بياخد الأمور بهزار علشان مش عارف ياخدها جد.

- تقصدي إيه؟

- لو مش حابب شغل الشركة وبيشتغله بس علشان يرضى باباه، يبقى أكيد الهزار ده خط دفاعي بدل ما يستسلم للإحباط. ماهو مش سهل برضه على أي راجل إنه مايكونش ناجح في شغله، بالذات في عيلة زي دي، الأب فيها ناجح جدا وكمان جوز أخته.

تفكّرت أبرار في كلمات صديقتها.. هل يعقل أن تكون رسمت بكلماتها العفوية شخصية أدهم بدقة دون أن تعرفه عن قرب؟ وكيف غفلت هي عن هذا التحليل البديهي؟ ربما بسبب عشقها للجدية والكمال، فلم تتصور أن يكون هناك سبب وجيه لأخذ الأمور بسطحية وبساطة! أخرجتها مها من أفكارها.

- رحتي فين؟

- بافكر في اللي قلتيه.

- تصدقي من كلامك عجبتني شخصيته.

- خلاص هاقوله عندي عروسة.

- يا ريت.. لكن ما ينفعنيش، الشخصية اللعبية اللي زيي عايزة واحد جد زيك ينظملها حياتها، أدهم ده يبقى مناسب ليكي إنتي.

حاولت أبرار معارضتها، لكنها أصيبت بنوبة سعال شديدة.

- أبرار كُحّتك زادت قوي، مارحتيش لدكتور برضه؟

- ما إنتي عارفة الدكتور بتاعنا مواعيده الصبح وأنا بابقى ف الشغل.

- ماتغيبي يوم يا ستي، هيجرى إيه يعني؟

- ماينفعش أغيب، مستر عبد اللطيف مايقدرش يستغنى عني.

ابتسمت مها ابتسامة ذات مغزى قائلة:

- مستر عبد اللطيف برضه؟ أقولك.. غيبي بكرة. منها تروحي للدكتور ومنها نعرف بجد مين اللي مش قادر يستغنى عن مين.

*

أوصت أبرار والدها أن يوقظها على موعد الطبيب في منتصف اليوم بعد أن أخذت بنصيحة صديقتها وانتهزتها فرصة لكي تنعم بنوم صباحي عميق. ولكنها استيقظت على طرقات والدها الخفيفة على باب غرفتها لتجد الساعة لا تزال العاشرة صباحا.

- خير يا بابا؟

- إنتي قافلة موبايلك ولا إيه؟

- عاملاه صامت، فيه حاجة؟

- زمايلك بيحاولوا يكلموكي من الصبح، وفي الآخر اتصلوا على البيت. زميلتك مايسة على التليفون، قومي ردي عليها.

- حاضر، قولها هاصحى وأفوق وأكلمها على طول.

خرج والدها، فأمسكت بهاتفها المحمول تتفقد المكالمات الواردة، فوجدت عشر مكالمات فائتة من أدهم، أوّلها بعد خمس عشرة دقيقة من الموعد المفترض لوصولها المكتب صباحا، كما وجدت ثلاث مكالمات من مايسة.

اقتحم خيالها كلام مها وتلميحاتها فنحته جانبا. «أكيد علشان الشغل» قالت لنفسها. أتمّت شعائرها الصباحية ثم أعادت الاتصال بمايسة أولا:

- صباح الخير يا مايسة، خير فيه مشكلة في الشغل ولا إيه؟

- لا خالص يا حبيبتي، أدهم كان عايز.. آآآ قصدي أنا.. أنا كنت عايزة أطمن عليكي.

- معلش أصل الكحة تعباني شوية فقلت أريّح وأروح للدكتور.

- لا سلامتك يا حبيبتي.

سمعت أبرار صوت رجل بجوار مايسة، رددت مايسة كلامه وهي تضغط على نهاية الكلمات:

- أدهم بيسلم عليكي يا أبرار، وبيسأل يعني مش هتقدري تيجي النهاردة خالص؟ بيقولك ده بكرة الجمعة وبعده السبت.

ثم قالت مايسة لمن بجوارها في تعليق جانبي خافت:

- ماهي أكيد عارفة أيام الأسبوع يعني.

وأردفت قائلة لأبرار:

- ألف سلامة يا حبيبتي، هابقى أطمن عليكي، يلا سلام عليكم.

ابتسمت أبرار رغما عنها، ولم تحاول تنحية كلام مها الذي أخذ يتراقص أمامها مجددا.

*

- أبرار.. كنتي غايبة ليه؟

هتف أدهم بلهفة لأبرار وهي تدخل من الباب الزجاجي للشركة وبدا وكأنه كان بانتظارها. ابتسمت أبرار قائلة:

- مانا قلت لمايسة، الكحة كانت تعباني قلت أستغل الفرصة وآخد أجازة نهاية أسبوع طويلة علشان أريح.

- حمد الله على سلامتك. افتقدناكي.

قالها بدفء وهو ينظر في عينيها فارتبكت وقالت:

- ده كان يوم واحد بس.

- كانوا ثلاثة.

- هو فيه مشكلة في الشغل؟

أجابها أدهم بنظرة مشوبة بالعتاب فندمت على سؤالها الأخرق وعادت كلمات مها إلى مخيّلتها بقوة.

*

في هذه الأثناء، كانت هناك حكايات أخرى تدور..

سيف، الذي يحوم دائما.. تارة حول أبرار، مستعرضا إمكاناته المادية والجسدية في فجاجة. ويحوم حول الشركة تارة أخرى، في زيارات متكررة، لم تفلح أن تجد له موئلا.

وحسام الذي كان يعمل بشكل محموم وكأنه في سباق مع الزمن، محققا نتائج أذهلت الجميع.

وشيري التي كانت تجتهد في إرضائه وجذبه، بيد أن قانون الجذب خاصتها كان يعمل بشكل عكسي، فكل جهودها كانت تخلق وبراعة.. مجالا طاردا لزوجها!

والحاج مهدي، الذي كان يزور الحاج عبد اللطيف في المكتب كل فترة زيارة خفيفة يتضاحكان فيها ويتبادلان فيها الذكريات، ثم يغيب مجددا.

وصافي التي لم تيأس من محاولاتها سبك دور الزوجة والأم، وإن كانت تستسلم أحيانا لنوبات قصيرة من الإحباط والاكتئاب فتلجأ لعلاجها الذي لم يخذلها أبدا: التسوق؛ رحلة شراء أسبوعية تعود منها إنسانة جديدة بلا أية هموم، وكأنما التسوّق يغسل روحها من الأعماق.

وعمر الذي ازداد تآلفا مع المجموعة، وبدأ يستجيب لملاحظات حسام الواضحة بخصوص العمل، والمستترة بخصوص المظهر، فاضطلع بمهام أكثر أهمية، واتسع دوره في العمل كمّا وجودة.. لولا تلك السحابة من الشرود المبهم التي أصبحت تغشاه كثيرا، ولم يستطع أحد سبر أغوارها!

ومايسة التي هي مايسة، عمل قليل، أكل كثير، كلام أكثر، وروح طيّبة تحاول بسط أمومتها على الجميع.

وأخيرا الأستاذ عبد الله، مدير الحسابات الذي اختفى من المشهد فجأة، بينما أعلن الحاج عبد اللطيف أنه في إجازة، معللا ذلك بأنه قد لاحظ عليه الإرهاق الشديد فأجبره على الراحة لفترة مناسبة.. تقبّل الموظفون ظاهر الأمر كما قيل، عدا مايسة التي علّقت بخبث على الخبر قائلة:

- أقطع دراعي إن ما كان فيه حاجة حصلت، الحاج لا يمكن يستغنى عن الأستاذ عبد الله.

ظلّت عبارتها معلقة في الهواء دونما تعقيب حتى عقّبت عليها عمليا.. الأحداث!

***

-10-

وشوف دقّاته

في أحد صباحات شهر يناير الباردة، دخلت أبرار من باب الشركة متجهة نحو مكتبها وهي منشغلة في فك كوفيتها الصوفية من على عنقها لتقتحم أنفها رائحة غير معتادة.

تسمّرت في مكانها ورفعت عينيها نحو طاولة المكتب.

مئات الورود الحمراء القانية تجمعت بشريط حريري في صحبة عملاقة على مكتبها، وقد تناثرت وسط الصحبة بعض الزهور البيضاء الكبيرة التي بدت وكأنها مصدر الشذى الأخاذ.

اتسعت ابتسامة أبرار وأسرعت نحو الباقة تدسّ وجهها فيها لتستنشق عبيرها في نشوة، ثم رفعت رأسها بغتة تتساءل عمن أحضرها!

- كل سنة وإنتي طيبة.

قالها أدهم وهو يخرج من غرفة مكتب والده حيث كان ينتظر وراء الباب مراقبا إياها.

- مش النهاردة عيد ميلادك برضه؟

- أيوة.

أجابته أبرار بصوت رقيق متهدج، علت عليه صوت دقات قلبها.

- كل سنة وإنتي طيبة يا ست البنات.

قالتها مايسة وهي تقتحم غرفة المكتب تحمل علبة حلويات ضخمة، يتبعها عمر.

- وأنتم طيبين.. مش عارفة أشكركم إزاي.

- اشكري صاحب الفكرة.

قالتها مايسة وهي تومئ نحو أدهم بذقنها، بينما منحهم عمر ابتسامة سريعة، ثم قال في جدية:

- معلش خلوا التورتة وقت الاستراحة ويلا على مكاتبنا لحسن الحاج طالع ورايا، وشكله مش مبسوط.

لم يكد ينهي عمر عبارته حتى سمعوا صوت الحاج يقول بنبرة حادة:

- قلتلك مش دلوقت يا عشري.

ثم ظهر على باب الشركة، وما إن رآهم حتى هتف في غضب:

- ما شاء الله.. خير يا أبرار؟ عندنا حفلة النهاردة ولا إيه؟

تلعثمت أبرار فردّ أدهم:

- النهاردة عيد ميلاد أبرار.

- كل سنة وهي طيبة يا سيدي.. كل واحد على مكتبه، اتفضلوا.

ثم دلف إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب من خلفه بقوة جعلت كلا من عمر ومايسة يختفيان على الفور، بينما صار وجه أبرار قانيا.

تردد أدهم قليلا بحثا عن عبارة مناسبة، ثم استسلم وانسحب هو

الآخر باتجاه غرفة مكتبه ليجد عشري بانتظاره.

- أستاذ أدهم، الواد ابني الصغير عيان، ومحتاج تحاليل وأشعة، وطلبت سلفة من الحاج ومارضيش.

استغرب أدهم أن يرفض والده مساعدة عشري. صحيح أن طلبات عشري وسلفاته لا تنتهي، ولكنهم اعتادوا على ذلك، حتى أن والده كان يعتبر تلك المساعدات جزءا أساسيا من راتب سائقه الشهري، ولا يجادله فيها كثيرا، وإن كان يعارض في بعض المرات، فذلك قناعة منه أنه لا بد أن يتمنع قليلا قبل الموافقة حتى لا يعتاد عشري ذلك، بيد أن عشري كان يحفظ مناورات الحاج جيدا ويصطبر عليها حتى ينول مراده.

- أنت طلبت السلفة دي إمتى؟

- إمبارح بالليل وأنا باوصله البيت. كان مزاجه متعكر وقالي المرة دي لا يمكن هيديني فلوس زيادة، والنهاردة الصبح لمّحتله قام زعق فيا.

- معلش يا عشري هاحاول أكلمهولك النهاردة.

- الله يكرمك يا أستاذ أدهم.. ده أم العيال ماعهاش فلوس في البيت والواد سخن مولّع.

- حاضر يا عشري حاضر.

قالها أدهم وأخرج من جيبه بعض الورقات المالية وأعطاها له كحل مؤقت.

*

لم تتح الفرصة لأدهم أن يفاتح والده في موضوع سلفة عشري لانشغال الحاج الشديد وتوصيته لأبرار بعدم المقاطعة، حتى أتى وقت الاستراحة فانتهزوا الفرصة لإطفاء الشموع وتقطيع الكعكة وأكلها وسط تعليقات مايسة الضاحكة وردود أبرار الخجلى. قبل انتهاء الاستراحة بدقائق انتحى أدهم بأبرار جانبا قائلا:

- عايز أطلب منك طلب.

شجعته عيناها فأردف:

- ممكن نتعشى سوا النهاردة؟

رفعت حاجبيها فاستدرك:

- قصدي ممكن بعد الشغل نقعد شوية في أي مكان قريب؟

- أنا مش باخرج مع حد غريب.

- أبرار إحنا نعرف بعض من أكتر من شهرين، وفعلا محتاج أتكلم معاكي على انفراد.

صمتت أبرار للحظة تفكّر، ثم ابتسمت ابتسامتها الجانبية المميزة، وأطرقت رأسها بالموافقة.

- الساعة 5:30 بالدقيقة والثانية هتلاقيني واقف قصاد مكتبك.

اتسعت ابتسامة أبرار فانسحبت سريعا إلى مكتبها لتتمالك نفسها. كانت تقطع البهو الموصّل بين مكتب مايسة ومكتبها في حالة من الهيام حينما اصطدمت بالحاج مهدي وهو يدخل من الباب الرئيسي

للشركة.

- آسفة.

قالتها أبرار وقد اكتسى وجهها بالإحراج الذي بدده الحاج مهدي بلطف قائلا:

- ولا يهمك يا ستي، الحاج في مكتبه؟

- هو كان مشغول جدا وقافل على نفسه ومانع إن حد يدخل عليه، حضرتك تحب أحاول معاه؟

- خلاص مش مشكلة، ابقي بلغيه إني عديت عليه.

- حاضر يافندم.

شكرها الحاج مهدي ثم عاد أدراجه، بينما جلست أبرار على مقعدها بآلية، ولا يحتل فكرها سوى..

أدهم.

*

- يلا بينا؟

كانت الساعة في تمام الخامسة والنصف حينما وجدت أبرار أدهم أمامها وهي التي لم تبارح عيناها عقارب الساعة المعلقة أمامها.

منحته إحدى ابتساماتها النادرة وبدأت تجمع أغراضها في حقيبتها استعدادا للرحيل.

- هاسيب الورد هنا على المكتب علشان بكرة الصبح يكون أول

حاجة أشوفها.. وعلشان ريحة المكتب تفضل حلوة.

- زي ماتحبي، يلا بقى.

- مستعجل على إيه بس؟

- مستعجل جدا.

في هذه اللحظة خرج عشري من غرفة الحاج فبادره أدهم بالسؤال:

- هو الحاج مش هيروّح ولا إيه؟

- لا.. معاه مكالمة مهمة، وقالي إنه هيتأخر وطلب مني أستناه تحت في العربية.

قالها عشري بنظرة منكسرة ونبرة فيها شيء من العتاب لم ينتبه لها أدهم الذي كان جل اهتمامه منصبا على مراد قلبه.

- أنا جاهزة يلا بينا.

جلست أبرار بجوار أدهم في سيارته للمرة الأولى.

- هتودينا فين؟

سألته أبرار، فالتفت إليها في اللحظة التي كان ينفث فيها دخان سيجارته، امتعضت وأشاحت بوجهها وهي تحاول فتح النافذة.

- حقك عليا.

أطفأ السيجارة وفتح نوافذ السيارة جميعا وأخذ يحاول تبديد الدخان بكفيه.

- مش هتبطلها؟

- والله ناوي.

قالها أدهم بنبرة من يخشى فقدان شيء ما لبث أن حصل عليه، ولا يريد أن يفسده عليه أحد.

- كنتي بتسأليني هنروح فين، فيه مطعم صيني، أكله جميل، وقعدته هادية، إيه رأيك؟

- فيه شيشة؟

- لا، أنا عارف إنك مش بتحبي الدخان.

- وباحب الأكل الصيني.

- يبقى يلا بينا.

انطلق أدهم بالسيارة تجاه المطعم وأخذت أبرار ترتب السيارة من الداخل وهما يتحدثان، ثم أخرجت مناديل مبللة من حقيبتها تمسح بها الأجزاء المتربة. تفاءل أدهم وشعر بأن سيارته لن تكون الشيء الوحيد الذي سترتبه أبرار.

***

-11-

تعرف حبي

وصلا إلى المطعم وأجلس أدهم مرافقته إلى مائدة منزوية مضاءة بالشموع. أتى إليهما النادل بإناء فضي وملقاط معدني وضع به منشفة مبللة ساخنة أمام كل منهما. انهمكت أبرار في مسح يديها بالمنشفة ثم رفعت رأسها لترى أدهم يراقبها فابتسمت.. لم تكن ابتسامتها الجانبية وحدها ما تطرب قلب أدهم، وإنما كان يحب أيضا اللحظة التي ترفع فيها أهدابها الطويلة وترنو إليه بنظرة.

تلك الأهداب الكثيفة الملتفّة الشبيهة بستار المسرح الذي ما إن يتحرك حتى تنحبس له الأنفاس بانتظار ما سيكشف عنه من أسرار!

ترفع جفنيها ببطء في لحظة طويلة، فينتظر في صبر ما ستكشف عنه عيناها.. فإذا اكتملت نظرتها إليه رأى عينيها لأول مرة، كل مرة.

لم تعرف أبرار ماذا تفعل إزاء نظراته إليها، فسألته:

- ها؟

انتبه أدهم من شروده فقال:

- تحبي ناكل إيه، اختاري.

- اختار لي أنت.

- أختارلك أنا؟

لم يصدق أدهم أنها بدأت تلين وتسلّم له ناصيتها، حتى ولو كانت

البداية هي اختيار الأكل.. فانبرى ينتقي من قائمة الطعام:

- نجيب شوربة ذرة، وسلطة شانتونج وسبرينج رولز، وهاطلبلك تشيكن تساو، أنا متأكد إنها هتعجبك، وهاجيب أنا لحمة بالتوم والجنزبيل، وطبق رز مقلي بالخضار وبعدها نحلي بموز مقلي.

- كل ده أكل، وكمان هنحلي!

طلب أدهم الطعام من النادل ثم أخذا يتبادلان الأحاديث ويحكيان عن طفولتيهما التي كانت متباينة جدا ما بين أسرة أبرار المحافظة في كل شيء، وبين أسرة أدهم المنفتحة تجاه كل شيء.

رن هاتف أدهم ليقطع حديثهما الدائر، نظر أدهم نظرة سريعة لشاشة هاتفه.

- دي ماما، ثواني أرد، أيوة يا صافي.. مال صوتك؟ بالراحة طيب علشان أفهم.

- .....

- وإيه الجديد؟ ماحنا متعودين على كده.

- .....

- كلمتي بابا؟

- .....

- طب كويس، طالما موجود هيهدي الدنيا.

- .....

- أنا ف مشوار مهم ومش هينفع آجي دلوقت، وإنتي عارفة إن كده كده وجودي مش هيفرق معاهم.

- .....

- مع السلامة.

أنهى أدهم المكالمة واستجاب لنظرات أبرار المهتمة.

- شيري وحسام بيتخانقوا تاني، بس يظهر خناقة أكبر من كل مرة.

- لو محتاج تروحلهم مافيش مشكلة.

- لا خالص، المشكلة إن ماما متضايقة علشان بابا قالها إنه مشغول ومش هيرجع دلوقت، ومتغاظة أكتر إنه كلم عمتو نادرة علشان تروحلهم. كويس إن عمو مهدي موجود، كان جاي لبابا فلما لقى الخناقة مولعة قعد يصلح بينهم، وإنتي عارفة عمو مهدي، هيعرف يبلفهم بكلمتين ويهدي الدنيا.

- هما مش متجوزين عن حب؟

ابتسم أدهم إزاء نظرة أبرار الأفلاطونية تجاه الحب، وهو الذي بات يعرف أن وجوده ليس كفيلا بحل كل شيء آخر!

- شيري بتموت فيه، بس حاسس إنها اليومين دول مش قادرة تستحمله زي الأول.

- وحسام؟

- ماعرفش.. بيتعامل معاها بذوق وبيقوم بالواجب وزيادة، إنما حب؟ ماعرفش إذا كان حسام بيعرف يحب أصلا ولا لأ.

- أكيد بيعرف، متهيألي حبه لباباه هو مشكلته.

- تقصدي إيه؟

- أنت ما شفتش بيبص لباباه إزاي، كأنه مستني منه كلمة رضا، واحد كبير ومحترم، متجوز وناجح، ولسه مستني نظرة رضا من باباه، ولما الحاج مهدي كان بيتكلم عن سيف، شفت في عينيه غيرة ووجع، صعب عليّا.

تفكر أدهم في كلمات أبرار متعجبا.

- عمري ما لاحظت اللي بتقوليه ده، حسام بالنسبة لي دايما الراجل الجد الشاطر اللي مش محتاج حاجة من حد.. نظرة رضا إيه بس في السن ده؟

- أنت بتتكلم كتير، فمش بتلاحظ، أما أنا باتكلم قليل وباركز مع الناس.. ماتستهونش باللي باقوله، يمكن علشان أنت كبرت مطمن إن باباك ومامتك بيحبوك زي ما أنت فمش حاسس بكلامي، لكن أنا ليّا واحدة صاحبتي، متجوزة ومخلفة، ومبسوطة كمان مع جوزها، ومع ذلك لسه مستنية نظرة رضا ولا كلمة حلوة من باباها، ولسه الغيرة بتاكل قلبها من استقباله لأخوها.. وبتسأل نفسها كل يوم إذا كان بيحبها ولا لأ!

شعر أدهم بغصة من كلام أبرار.

هو لا يحب قصص القلوب المكسورة خاصة تلك التي لا يملك أن يداويها.

- تعالي نغير الموضوع.. مبسوطة في الشركة؟

- جداااا، وأنت؟

- إنتي عارفة الإجابة.

- وبعدين؟

- هاعمل إيه؟ شركة بابا وأمر واقع.

- تقدر تعمل كتير.

شعر أدهم بعدم ارتياح.. لم يكن يحب مناقشة هذا الأمر في أول لقاء خاص يجمعهما، ولكنه سألها:

- تقصدي إيه؟

- مش قلتلي إنك بتحب ميكانيكا السيارات؟

- ده كان زمان، وماعرفتش أدرسها والموضوع اتقفل.

- ليه ماتدرسش أون لاين؟ أكيد هتلاقي كورسات كتير، وحتى لو محتاج دراسة عملي، شوف جامعات تكون عاملة دراسات عليا وقدم فيها، أنت عندك فلوس، وباباك مش ديكتاتور معاك، مستني إيه؟ المفروض تكون بتعافر وبتحارب علشان حلمك، مش مستسلم كده.

تغير وجه أدهم وانقبضت نفسه.. فبرغم المنطق البادي في كلام أبرار، لم يحب أن يأتي هذا الكلام منها هي.

- طب كفاية كلام تنمية بشرية وخلينا ناكل قبل ما الأكل يبرد.

- تنمية بشرية!

وتفسّخت الأجواء الحميمة التي كانت تلفّهما.

حاول أدهم أن يرأبها فقال بصدق:

- ماكنتش أحب تكون دي نظرتك ليا.

انفرجت أسارير أبرار وتبددت السحابة المعتمة سريعا.

- أنا اللي آسفة.. يظهر ماعرفتش أعبر صح. بالعكس أنت بالنسبة لي إنسان مميز وبتمثل حاجات كتير مستحيلة بالنسبة لي، أنا صعبان عليا يبقى عندك طاقات مش مستخدمة، خسارة، أنت تقدر تكون حاجة أحسن بكتير من موظف في مكتب وكمان مش حابب شغله.

ابتسم أدهم وقد رمّمت كلمات أبرار جرح ثقته بنفسه، وشجعته على إخراج لواعج القلب.

- عايز أسألك على حاجة.. فاكرة يوم ما سيف كان في مكتبك أول ما بدأتي شغل معانا؟ لما سألتك هو ضايقك ف حاجة؟ إنتي اتضايقتي ليه؟

ردّت بخجل:

- مش عارفة، حسيت كأنك بتقولي إني عيلة وضعيفة ومش هاعرف اتصرف مع واحد زي سيف، أو يمكن حسيت إنك شايف إني إديت لسيف مساحة وفرصة ياخد فيها راحته معايا وبتلومني بطريقة غير مباشرة.

- ما كنتش أقصد كده طبعا.. أنا كنت خايف عليكي لأني عارف

سيف وسخافته، إحنا ليه مش بنفهم بعض بسهولة؟

- مش عارفة.

- شكلنا هنتعب مع بعض.

- بس تعب لذيذ.. صح؟

ابتسم أدهم وقد راقته عبارة أبرار. لم يظن أبدا أن هناك لذة محتملة فى التعب، ولكن يبدو أنه سيغير نظرته.

- أبرار، عايز أتقدم لك.

تفاجأت أبرار بما قال فأطرقت برأسها.

- قفشتي تاني ولا إيه؟

- أنت فاجئتني.. وإحنا لسه بنتعرف. آديك شفت إزاي إننا مختلفين.

- مختلفين أيوة، لكن أكيد حاسة بالكيميا اللي ما بيننا، بالمغناطيس اللى بيشدنا.

- أنا أكبر منك.

- بسنتين؟ وماله؟

- ده رأيك أنت، بس تفتكر أهلنا ممكن يـ...

بترت أبرار عبارتها فجأة وقد تذكرت والدها وحبه اليائس لنادرة وكلام الحاج لطفي عند الحلّاق.

- أدهم هو أنت قلت لأهلك؟

تلعثم أدهم.

- لا لسه... حبيت أفاتحك إنتي الأول، بس أكيد هيوافقوا، إنتي قلقانة من إيه؟

اجتاح أبرار شعور بالضيق، لم تحب كونها محل موافقة أو رفض، أو محل اختلاف من الأساس!

ردت باعتداد:

- مش قلقانة، بس الأصول تسألهم قبل ما تفاتحني.

لم يكن هذا ما تشعر به حقا، كما أن كلمة الأصول لم تكن من مفرداتها عادة ولكنها لم تجد ردا أفضل تحفظ به كرامتها.

داهمتها ذكرى كل شيء دفعة واحدة؛ والدها المرفوض سابقا، رغبة أسرة أدهم في تزويجه من رنا، نظرتهم الدونية للحجاب.. وهي المعتدة بنفسها دوما لا تقبل أن ترزح تحت ذلك الشعور.

كان أدهم يراقبها، ويتأمّل تعبيرات وجهها الغامضة.. تحيّر.. ما الذي أفسد التيار بينهما مرة أخرى؟ لماذا يشعر وكأنه يمشي على الشوك عندما يتحدث معها؟ وكأنما يخطو في حقل ألغام ويخشى أن يطأ لغما بالخطأ فتنفجر اللحظة كلها.

- أبرار.. ماتفكريش كتير، أنا بحبك وعايزك، إحنا لبعض مهما كان مشوارنا طويل.

انفرجت أساريرها، وظهرت له نتيجة كلامه جلية على جبهتها..

«لقد تجاوزت اللغم بنجاح».

***

-12-

لا يشبه يناير!

أوقف أدهم سيارته أمام بناية أبرار فترجّلت منها وابتعدت نحو المدخل بخطوات رقيقة يطير خلفها قلبه العاشق بجناح من حب وجناح من أمل. بقي في السيارة حتى اختفت عن ناظريه ثم انطلق.

ضغط زر تشغيل مذياع السيارة فصدح صوت منير:

«خلاص حبيبتي بقينا لبعض.. شبكنا ضي عينينا في بعض».

أهي علامة؟ ساهمت الأمطار الغزيرة، والشوارع المغسولة شبه الخالية، في رفع روحه المعنوية لتزاحم النجوم، فقام بتعلية الصوت إلى حده الأقصى يدندن مع الأغنية:

«خلاص بقينا روحين دايبين... ومستحيل يطلعوا من بعض».

أنبأته ساعة السيارة المضيئة أنها لم تتعدّ التاسعة، تحيّر أين يقضي بقية المساء. لم يحب العودة إلى المنزل خوفا من أن تكون الخلافات لا زالت مشتعلة، وهو لا يريد تعكير صفو قلبه الليلة. قرر الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية ليفرّغ بالمجهود البدني شحنة المشاعر القوية التي تكتنفه.

اختار أن يذهب إلى فرع منطقة مصر الجديدة بدلا من فرع منطقة التجمع الخامس ليتحاشى أصدقاءه، لم يكن يريد أي تشويش على مشاعره الوليدة، رغبة منه في الحفاظ عليها طازجة وحية لأطول وقت ممكن.

*

كانت الخلافات لا تزال مشتعلة في البيت كما توقع أدهم.. ظلت شيري تبكي لأكثر من ساعة، ونادرة بجوارها تحاول تهدئتها، بينما صافي تذرع بهو الاستقبال جيئة وذهابا، تبرطم بكلمات حادة كعادتها.

أما حسام فلم يستسلم هذه المرة لضغط والده عليه ولم يقم بمصالحة زوجته مثلما كان ينصاع في المرات السابقة، وإنما خرج مغاضبا لا يلوي على شيء.

شعر الحاج مهدي بالعجز وهو يراقب خروج ابنه غير العابئ بأوامره، وتساءل قلقا، أهي بوادر خروج حسام عن طوعه؟

لم يتوقع حدوث هذا الأمر أبدا!

هل بالغ في الضغط عليه؟

ستنهار مصالحهم جميعا إذا قرر حسام الانسلاخ!

عضّ على شفتيه ندما، وهو يتذكر تعليقه الأثير على ثورة الخامس والعشرين من يناير:

«مبارك غلطان، كان ساب للشعب حاجة ينفّس فيها بدل ما ينفجروا ف وشه. لو كان شال الحكومة ورمى أحمد عز وكم واحد ف السجن، كانوا اللي ف الميادين دول روّحوا مبسوطين وآخر حلاوة، هو بس اللي اتأخر!».

فهل أخطأ نفس الخطأ مع ابنه؟

حاول مهدي تطمين نفسه أن موقف حسام لا يشبه يناير في شيء، وقرر أن يوفر له متنفسا طواعية قبل فوات الأوان.

- سيبيه على راحته يا بنتي، يمكن محتاج يقعد لوحده شوية.

- حضرتك اللي بتقول كده؟ طب ومايلاقيش راحته هنا ليه يعني؟

سألته شيري منتحبة، فلوّى الحاج فمه وقد أعجزه الرد حتى أنقذه في ذات اللحظة وبالصدفة رنين هاتفه.

- معلش هاطلع ف الجنينة أرد على التليفون، شغل.

نبهته صافي:

- الدنيا مطر جامد بره يا حاج هتغرق، اتفضل أوضة المكتب فاضية.

لم يقبل الحاج التنازل عن الفكاك الذي جاءه من السماء، فتحرك نحو باب الحديقة قائلا:

- ماتقلقيش، هاقف تحت التنده.

خرج الحاج بالفعل وأطال المكوث بالخارج، حتى جفت دموع شيري، واستعادت صافي مزاجها الهادئ، وبدأت نادرة تلملم أشياءها استعدادا للرحيل. أنهى الحاج مكالمته ودخل عليهم معتذرا:

- معلش كانت مكالمة طويلة.. اتأخرت عليكم؟

- يا خبر ده أنت غرقان خالص، اتفضل بسرعة على جناح الضيوف.

قادته صافي إلى الجناح المذكور ثم نادت على الخادمة وأعطتها

التوجيهات:

- «بليز تيك مستر مهدي كوت آند جلوفز».

ثم أومأت إليه قائلة:

- ماتقلقش، هاخليها تنشفهملك بالبخار.

تحرك الحاج نحو دورة المياه الموجودة بجناح الضيوف بينما أغلقت عليه صافي باب الجناح وأعطت المزيد من الأوامر للخادمة ثم عادت إلى نادرة تتساءل:

- يا ترى إيه اللي أخّر لطيف كده؟ بقاله كتير ماسهرش جامد في الشغل، وأدهم ده كمان، يا ترى راح فين؟ بدل ما يجي يلحق أخته، هيجننوني!

قبل أن ترد نادرة، دق الجرس، وأتتها الخادمة تقول بلغتها المختلطة:

- «فيه مستر أبدالا بره».

استقبلت صافي الزائر مستغربة موعد الزيارة.

- أهلا أستاذ عبد الله، خير؟

- عايز أقابل الحاج، هو مش موجود ولا إيه؟

اغتاظت صافي في سرها من مالا وهمست لنفسها:

- طبعا هيكون عايز الحاج، جايباهولي أنا ليه؟

ثم قالت بصوت مسموع:

- هو مش موجود، سهران في المكتب، هو قالك تجيله هنا؟

سألته وهي ترنو ببصرها نحو ساعة البهو الأبانوس الضخمة. ظهر الارتباك على الأستاذ عبد الله.

- الصراحة أنا جاي من غير معاد، كنت عايز أقابله وأتكلم معاه شوية.

- ممكن تروحله على المكتب، هو لسه هناك.

- شكرا يا هانم، شكرا.

خرج الأستاذ عبد الله، وفي أعقابه خرجت نادرة، بينما بقيت صافي تذرع البهو وقد انقبض قلبها!

***

-13-

عودة إلى البداية!

سال المطر في تلك الليلة أنهارا فأشرقت شمس اليوم التالي على طُرقات لامعة وأشجار مغسولة.

ولكن.. لم يكن المطر وحده الذي سال، ولا دموع شيري فحسب.

بل سالت الدماء أيضا!

*

لملم فريق البحث الجنائي أدواته وأدلته والبصمات التي رفعها وكل ما جاد به مسرح الجريمة من معلومات، لملمها ورحل، وبقي المقدم أحمد الميرغني جاثيا على ركبته يعاين الجثة المنكفئة قبل أن يرفع رأسه متحيرا.. الصمت والحزن الذي خيّم على الموجودين مكّناه من تأمّلهم؛ أبرار بجوار الباب، يتجلى الهلع في عينيها وقد غطت فمها بكفها، وإلى يسارها جلس أدهم، دافنا رأسه بين كفيه وقد انخرط في بكاء صامت، وبجوارهما وقف الأستاذ عبد الله وفي عينيه قليل من الحزن وكثير من القلق، ثم عمر الذي لانت ملامحه بالتأثر الشديد، وأخيرا مايسة التي لمعت عيناها، لا بالدموع وحدها، وإنما زاحمتها إثارة لا تتناسب مع الفاجعة.

سأل المحقق:

- مين أول حد شاف الجثة؟

رفع أدهم وجهه عن كفيه ذاهلا وكأنما أيقظته كلمة جثة على

الحقيقة المروعة. ازدرد الأستاذ عبد الله ريقه قائلا:

- أنا، وأنا اللي اتصلت بالنجدة.

- إيه اللي حصل بالظبط؟

اتجهت كل العيون إلى الأستاذ عبد الله الذي أجابه:

- كنت عايز الحاج ضروري، حاولت أكلمه إمبارح على المحمول ما ردش، فقلت آجي أستناه هنا من الصبح بدري، دخلت الشركة مالقيتش حد غير سامح بتاع البوفيه، قلت أستنى في مكتب الآنسة أبرار، لفت نظري إن باب مكتب الحاج كان مفتوح، وهو في العادة بيقفله وهو ماشي، زقيت الباب أبص، لقيته زي ما هو كده، صرخت وناديت سامح واتصلنا بالنجدة، وزي ما حضرتك شايف.

- واضح من المعاينة إن الجثة بقالها كذا ساعة، وفيه إصابتين، ممكن واحدة منهم تكون سبب للوفاة، خبطة في الراس، وطلقة مسدس، مكان الطلقة بيرجح الانتحار، لكن الطب الشرعي لسه هيقول كلمته.

- انتحار؟

هتف أدهم في ذهول، ثم أردف:

- مستحيل بابا ينتحر.. مستحيل.

تجاهل المحقق عبارة أدهم.

- ساعة إيد المجني عليه متوقفة عند الساعة 12:30، غالبا ده وقت وقوع الجريمة، بافتراض إن الساعة وقفت لما اتخبط في

المكتب أو وقع على الأرض. ممكن كإجراء صوري، أعرف كل واحد منكم كان فين الساعة 12:30 بعد منتصف الليل؟ طبعا لسه هيكون فيه تحقيقات في النيابة، ده سؤال مبدئي.

قالها ونظر إلى أبرار بانتظار الإجابة..

- آآآ أنا كنت في البيت، وبابا كان معايا.

- وحضرتك يا أستاذ أدهم؟

- كنت في البيت.

- وقبلها؟

- كنت في الجيم، وكان معايا المدرب بتاعي وناس طبعا في الجيم.

- إممم، وحضرتك؟

- في البيت يا سيادة المقدم، مع مراتي والعيال.

أجابه الأستاذ عبد الله بحذر، وحذا عمر حذوه:

- أنا كنت في البيت برضه مع والدي ووالدتي.

وتبعتهما مايسة:

- وأنا برضه كنت في البيت، مع جوزي والعيال.

تفرّس المحقق في وجوههم مليا ثم أشار إلى المسدس الملقى بجوار الجثة قائلا:

- واضح إن ده أداة الجريمة.

- ده مسدس بابا.. أو بمعنى أصح.. بابا عنده مسدس زيه، بيبقى شايله في الخزنة.

قالها أدهم وأشار بيده فنظروا جميعا إلى الخزانة الحديدية المغلقة، ثم أردف:

- عمر وعبد الله معاهم أرقام الخزنة.

- وأنت برضه معاك نمر الخزنة يا أدهم، مش كده؟

سأله عمر، فتلعثم أدهم:

- أيوة.

- فيه حد تاني غيركم معاه أرقام الخزنة؟

لم يجب سؤال المحقق أحد، ولكن الأستاذ عبد الله أخذ يختلس النظرات إلى أبرار. فسأله:

- عايز تقول حاجة يا أستاذ عبد الله؟

- الآنسة أبرار كمان معاها أرقام الخزنة.

ظهر الفزع على وجه أبرار وهي تهتف:

- إيه؟ لأ أنا ماعرفهاش.

رمقها المحقق بنظرة جديدة وهو يتابع كلام الأستاذ عبد الله:

- إزاي يا آنسة؟ من حوالي أسبوعين، الحاج كان بره الشركة وكلمني عايزني أشوفله ورقة في الخزنة، أنا كنت في الفرع التاني، وعمر ساعتها كان بره معاه، فقالي خلاص هاكلم أبرار ولما قلتله

إنك ماتعرفيش نمر الخزنة قالي مش مشكلة أنا هأقولها لها، أنا فاكر كويس، لأني استغربت ثقة الحاج فيكي، يعني ماتآخذنيش.

- بس هو ما كلمنيش ساعتها.

أنهى المحقق الجدل الدائر قائلا:

- هنعرف كل حاجة في التحقيقات.. ممكن تفتح لنا الخزنة لو سمحت يا أستاذ عبد الله.

فتح الأستاذ عبد الله الخزانة فنظر المحقق فيها متفحصا:

- مافيش مسدس في الخزنة، ممكن تبص بصة على الأوراق وتشوف إذا فيه حاجة ناقصة؟

قالها المحقق موجها كلامه إلى الأستاذ عبد الله وهو يمد له يده بقفاز مطاطي ذي الاستخدام الواحد، ولكن قبل أن يتحرك الأستاذ عبد الله تنحنح عمر قائلا:

- أستاذ عبد الله المفروض في أجازة من أسبوع.

التقت عليه أنظار الجميع في فضول فازداد وجهه احمرارا بينما اضطرب وجه الأستاذ عبد الله. سأل المحقق:

- تقصد إيه؟

- ماقصدش حاجة.

أجاب عمر في سرعة وقد شعر أن عبارته غير محل ترحيب. ثم أردف حينما لاحظ انتظار المحقق لتفسير:

- قصدي إنه ممكن مايبقاش عارف المستجدات.

نقّل المحقق نظراته بين الرجلين ثم قال:

- طيب.. الأفضل نقفل الخزنة ونستنى نتيجة الطب الشرعي علشان نبدأ التحقيق الرسمي.

*

انتهت مراسم دفن الحاج عبد اللطيف، وبدأ التحقيق الرسمي في الفاجعة..

ظل المحقق يلفّ ويدور حول أفراد أسرة الفقيد والعاملين بفرعي شركته، يسأل هذا ويتكلم مع ذاك، ويكرر أسئلة بعينها بصيغ مختلفة، فمرت الأيام ثقيلة وغير محتملة على الجميع.

استمرّت أبرار في الذهاب إلى العمل بآلية وقد أثقل كاهلها فقدان الحاج، والأجواء القاتمة التي تلت مقتله فخيّمت على المكان. ظلت في الأيام الأولى تتوقع سماع صوت الحاج يناديها، أو رؤيته جالسا وراء مكتبه وهى تدخل إليه حاملة الأخبار، ولكن باب غرفة مكتبه ظل مغلقا. بينما أخذ حسام -الذي أدار العمل بفاعلية من فرع العباسية- يكلفها ببعض المهام المستعجلة بين حين وآخر.

أما علاقتها بأدهم.. فبدا وكأنها تجمدت!

لم يأت إلى الشركة منذ الحادث، ولم تره إلا لمحة سريعة في العزاء الذي حضرته مع أبيها وعمتها، لمحة أنبأتها أنه لم يستعد توازنه بعد فآثرت الابتعاد.. حتى رأت اسمه يظهر على شاشة هاتفها بالتزامن مع رنينه في صبيحة أحد الأيام.

- إزيك يا أبرار.. وحشتيني.

- إزيك يا أدهم، عامل إيه؟ كلكم عاملين إيه؟

- أهو بنحاول.. بنحاول نـ...

تردد ثم قطع عبارته وقال:

- عايز أشوفك.

- أنا في الشركة كل يوم.

- بلاش الشركة، المحقق السخيف ده ناطط لنا فيها كل شوية.

- وهو إيه علاقته بينا؟

- إنتي عرفتي إن ساعة بابا كانت واقفة من قبل الحادثة؟ عشري قال في التحقيقات إن بابا اكتشفها الصبح وقال له يفكره يبقى ياخدها يصلحها.

- وده معناه؟

- تقرير الطب الشرعي بيقول إن الجريمة حصلت ما بين 7:30 و10:30 مساء.. وده طبعا معناه إن إحنا الاتنين بره الشبهات الحمد لله. أنا ماكنتش عايز أظهر معاكي في الصورة لحد ما الدنيا توضح شوية علشان ماحدش يتكلم. بس دلوقتي مافيش حاجة تقلق.

لم تفهم أبرار مغزى كلامه، والقلق الذي يعنيه، ولكنها تابعت سماعه فقال بنبرة تقريرية وكأنه يقوم بتسميع ما حفظه عن ظهر قلب:

- أنا وصلتك البيت على 8:30 وطلعت على الجيم وفضلت هناك

لحد 10:30 والناس اللي في الجيم شاهدين، مش عارف أصلا مين المجنون اللي ممكن يشك إني قتلت بابا. مش كفاية المصيبة اللي حصلت لنا، المفروض يحترموا الظروف ويسيبونا نحزن مش يحاصرونا بالشكل ده.

- بس...

- إيه؟

- أنا خرجت تاني بعد ما أنت وصلتني.

- إيه؟

***

-14-

جلسة ودية

تكهربت المكالمة بين أدهم وأبرار بعد تصريحها بخروجها مساء ليلة الجريمة، سألها عن التفاصيل، تذكرت نظرات المحقق لها في اليوم السابق فأجابته بنبرة مرتعشة وقد أدركت الخطر المحدّق بها:

- كان فيه فيلم حلو في السينما نفسي أشوفه وبالصدفة عرفت إن ده آخر عرض له، فرحت شفته.

- لوحدك؟

- أيوة.

صمت أدهم للحظة ثم قال بنبرة متوترة:

- أبرار، مافيش داعي إنك تجيبي سيرة الخروجة دي خالص، ولو حصل واكتشفوا، هاقول إني وصلتك السينما ورجعت خدتك بعد الجيم.

ابتلعت أبرار ريقها ثم عقّبت على قوله في خفوت:

- أدهم أنا ما عملتش حاجة علشان أكدب.. ولا يمكن أورطك وأخليك تشهد زور بسببي، ده اللي بيكتم الشهادة آثم قلبه، لا يمكن أقبل إنك تعمل كده لا علشاني ولا علشان أي حد تاني.

أدهشت أدهم نبرة التصميم في صوتها رقم القلق البادي فيه، حاول أن يثنيها عن رأيها:

- إحنا مش هنئذي حد يا أبرار، إحنا الاتنين متأكدين إن ماحدش فينا عمل الجريمة البشعة دي، يبقى ليه نورط نفسنا في سين وجيم؟

- من فضلك يا أدهم، مش هينفع اللي أنت بتقوله ده. ربنا عالم ومطّلع على الحقيقة، وربنا بيدافع عن الذين آمنوا، مش معقول بعد الوعد ده أروح أنا أتشطر وأكذب ولا أخليك تشهد زور علشان أطلع براءة.

صمت أدهم وقد أسقط في يديه، فأنهت أبرار المكالمة بقولها:

- ربنا موجود.

شعرت أبرار بالحيرة إزاء أدهم.. اختفاؤه منذ الواقعة، ثم ظهوره بعد اطمئنانه تجاه الدليل الجديد الخاص بالتوقيت الذي يبرئ ساحته، ثم الحوار الذي دار بينهما الآن.. ما الذي يعنيه ذلك كله؟

ثم هناك شهادة عشري السائق بخصوص ساعة يد المرحوم، أهي شهادة صادقة أم...

محاولة منه لتبرئة أفراد أسرة ولي نعمته!

*

مرت عدة أيام، قبل أن يفاجئهم المقدم أحمد بطلبه الاجتماع بالفيلا لمباشرة مزيد من التحقيقات بصورة «ودية» كما قال.

اجتمعوا جميعا في البهو..

صافي التي اتشحت بالسواد، بيد أن سوادها الأعظم ظهر جليا في

وجهها لا ملابسها. وشيري التي بدت عيناها حمراوين منتفختين، كأنما لم تكف عن البكاء لحظة. وأدهم الذي بدا هزيلا وكأنما فارقه النوم لليالٍ. ونادرة التي لم تتقيّد بالسواد، وإن بدت شاردة وقلقة. وأبرار التي كسا الحزن محيّاها. والحاج مهدي الذي بدا منكسرا بفقدانه الشريك والصديق والنسيب. وحسام الذي بدا عليه الغضب أكثر من أي شيء آخر.. بينما تغيّب كل من سيف ورنا.

انضم للحضور الموظفون الذين طلبهم التحقيق؛ عمر وعبد الله ومايسة وعشري وسامح. بدأ المحقق كلامه دون ترحيب أو مقدمات:

- طبعا سمعتم شهادة الأستاذ عشري بخصوص ساعة المجني عليه، وعرفتم إن تقرير الطب الشرعي أفاد بإن الجريمة حصلت ما بين 7:30 و10:30 مساء و...

قاطعه سامح متسائلا بصوت خافت:

- هي خلاص جريمة؟ مش كنتم بتقولوا انتحار.

زفر المحقق فلم ترق له المقاطعة ولكنه أجاب قائلا:

- الطب الشرعي أثبت إن الوفاة لا يمكن تكون انتحار، المجني عليه أشول.

- الله يرحمه.. كان دايما يقول العباقرة دايما بيبقوا شول.

قالها الحاج مهدي وهو يشير إلى يسراه ثم أدرك من نظرات المحقق أن ملاحظته افتقرت إلى اللياقة فقال معتذرا:

- اتفضل كمّل.

حدجه المحقق بنظرة باردة، ثم أكمل قائلا:

- كنا بنقول المجني عليه أشول، وبما إن الرصاصة اخترقت الصدغ الأيمن، يبقى مستحيل تكون انتحار.

انبرت صافي معلقة:

- طبعا مستحيل يكون انتحر، إزاى أصلا تفكروا ف حاجة زى كده؟ الحاج طول عمره مؤمن وبيخاف ربنا.

- قلتلهم كده من أول لحظة.

أمّن أدهم على قول والدته في غضب، شعر المحقق بالجلسة تنفرط منه فقال بنبرة عالية:

- لو سمحتم.. أكمل كلامي.

ساد الصمت فأردف:

- دلوقتي بعد المعلومات الجديدة عايز أعرف بالتفصيل تحركاتكم يوم الحادثة، نبدأ من حضرتك، اتفضلي.

وأشار لصافي التي قالت:

- أنا وشيري وحسام والحاج مهدي ونادرة كنا هنا في البيت مع بعض، وكان فيه آآآ.. سوء تفاهم بسيط كنا بنحاول نحله.

- كنتم مع بعض طول الوقت من 7:30 لحد 30:10؟

- أيوة.. بس حسام...

حدجتها شيري بنظرة تحذير فصمتت.

- أيوة، ماله حسام؟

سكتت صافي فانبرى حسام قائلا:

- أنا سبتهم ومشيت على الساعة 8:00 تقريبا.

- رحت فين؟

- كنت متنرفز شوية ففضلت ألف بالعربية في الشوارع لحد ما هديت.. وبعدين رحت كافيه شربت حاجة ورجعت هنا على الساعة 00:12 تقريبا.

- وفيه شهود؟

- أكيد، الناس ف الكافيه.

- وقبل الكافيه؟

احتد حسام عليه:

- باقولك كنت سايق لوحدي.. شهود إزاي؟

- تمام.. هنشوف.

قالها المحقق ثم نظر صوب صافي قائلا:

- يعني حضرتك يا مدام صافي، ومدام شيري والحاج مهدي ومدام نادرة فضلتم هنا مع بعض؟

- مظبوط.

- لحد الساعة كام تقريبا؟

- الحاج مهدي ونادرة مشيوا على 00:11 تقريبا.. أنا وشيري طلعنا أوضنا بعدها بشوية.

- ما قلقتوش إن الحاج مارجعش البيت لحد الوقت ده؟

لمعت الدموع في عيني صافي وهي تقول:

- هو ساعات كان يسهر في الشركة ويجي بعد ما ننام. وممكن حتى ينزل الشغل تاني قبل ما نصحى.

- مالاحظتيش إنه ما باتش في البيت؟

- كل واحد فينا بينام في أوضة لوحده. أنا صحيت على الخبر وماكنتش لسه دخلت أوضته.

قالتها فغلبتها دموعها وأخذت تنهنه فناولتها أبرار منديلا بينما وجه المحقق سؤاله التالي لأدهم قائلا:

- طيب وبالنسبة لتحركاتك أنت؟

ازدرد أدهم ريقه وحدج أبرار بنظرة سريعة ثم قال:

- أنا وصّلت أبرار بيتها الساعة 8:30 تقريبا وطلعت على الجيم في مصر الجديدة، كنت هناك على 8:45 لحد 10:30 تقريبا، وصلت البيت هنا بعد 11 بشوية، كانوا كلهم في أوضهم، فافترضت إن بابا كمان ف أوضته وماعرفتش الخبر إلا لما كلمتونا الصبح.

- فيه شهود على تحركاتك؟

- المدرب الشخصي بتاعي والناس في الجيم.

- تمام.. وبالنسبة لتحركات حضرتك؟

سأل المحقق أبرار، فانبرى أدهم قائلا:

- زي ما قلتلك.. وصلتها بيتها الساعة 8:30.

ترنّث المحقق وهو ينظر إلى أبرار مليا قبل أن يردف:

- مكتوب عندي إن البواب بتاع العمارة شافها نازلة تاني بعدها على طول.

التقت العيون على وجه أبرار الشاحب وأكمل المحقق قائلا ببطء:

- وسمعها بتوقف تاكسي وبتقوله.. التجمع الخامس.

شحب وجه أبرار أكثر، همّ أدهم بالكلام فسبقته قائلة بصوت خافت لكن ثابت:

- أيوة فعلا، أنا نزلت تاني بعدها على طول، دخلت السينما في التجمع.

- لوحدك؟ بالليل؟

- كان فيه فيلم نفسي أشوفه ودخلت على الإنترنت لما رجعت علشان أشوف مواعيد حفلاته، فوجئت إن ده آخر عرض له، فنزلت على طول على السينما.

- ماحدش بيعمل كده أبدا.

علّقت صافي بصوتها الحاد فامتقع وجه أبرار غير أنها قالت

باعتداد:

- أنا باعمل كده.

- فيه شهود يا آنسة؟

- مش عارفة، يمكن لو لقيتوا سواق التاكسي!

أجابته أبرار بحيرة.

- تاكسي ولا أوبر؟

- تاكسي للأسف.. فتحت تطبيق أوبر وقتها لقيت أقرب عربية على بعد 10 دقائق وأنا كنت مستعجلة فنزلت ووقفت تاكسي.

- مافيش شهود محتملين في السينما؟

بدأ صوت أبرار يفقد ثباته:

- السينما كانت زحمة وكلها طلبة، يظهر ده كان آخر يوم امتحانات قبل أجازة نص السنة، مش عارفة إذا كان فيه حد ممكن يفتكرني، ممكن تشوفوا الكاميرات مثلا؟

قالتها برجاء فتفرّس المحقق في وجهها بحثا عن حقيقة لم تقلها ثم كرر عبارته المعتادة ببطء:

- تمام، هنشوف.

حوّل عينيه عنها إلى مدام مايسة.

- وحضرتك؟

ردت مايسة على الفور:

- كنت في البيت، مع العيال وأبوهم والله.

- وحضرتك يا أستاذ عبد الله؟

انبرت صافي مقاطعة:

- نسيت أقول لحضرتك.. أستاذ عبد الله جالنا هنا قبل الساعة 11 بحاجة بسيطة.

أمّن الأستاذ عبد الله على كلامها قائلا:

- مظبوط، أنا كنت عايز الحاج ضروري، كلمته ما ردش، جيتله على هنا، صافي هانم قابلتني وقالتلي إنه لسه في المكتب.

- وأنت قلت هتروحله على المكتب.

عقّبت صافي فهتف في سرعة موجها كلامه للمحقق:

- بس ما روحتش.. لقيت الوقت متأخر فقلت الصباح رباح.

- ولا رحتله قبل؟

- لا قبل إيه؟ أنا ما رحتش المكتب خالص يومها.

- طيب كنت فين من 7:30 لـ 10:30؟

- كنت على القهوة جنب البيت في عين شمس، ومشيت على 9:30 تقريبا وجيت على هنا على طول.

- وحضرتك يا أستاذ عمر؟

- كنت في البيت مع والدي ووالدتي من الساعة 7:00 وماخرجتش

تاني.

عاد المحقق يوجه أسئلته لأستاذ عبد الله:

- يعني أكيد ماعدتش على المكتب يومها؟

- والله العظيم ما عديت.

تدخل الحاج مهدي قائلا:

- هو أنت بتضغط على الأستاذ عبد الله كده ليه يا باشا؟ الراجل كلامه واضح.

- طبيعي الناس اللي معاهم أرقام الخزنة تحوم حواليهم الشكوك أكتر من غيرهم، خاصة بعد ما أفاد الطب الشرعي إن سلاح الجريمة هو المسدس اللي كان فيها. والأستاذ عبد الله كان هنا الساعة 10:45. إيه اللي يمنع إنه يكون عدى على المكتب الأول؟

شحب وجه الأستاذ عبد الله، فهتف أدهم:

- حضرتك بتلمح لإيه؟ أستاذ عبد الله لا يمكن يعمل كده، ده بقاله عشرين سنة بيشتغل مع بابا الله يرحمه ومحل ثقته.

ثم ازدادت لهجته حدة وهو يقول:

- أنا باقول تدور على القاتل في مكان تاني غير هنا.

ابتسم المحقق بخبث قائلا:

- بالراحة يا أستاذ أدهم، بيشتغل معاه من عشرين سنة ما قلناش حاجة.. بس محل ثقته! أشك. هو أستاذ عمر ماقالكش ولا إيه؟

ساد صمت مفاجئ واتجهت النظرات كلها تحاصر عمر بانتظار ما سيقول.

***

-15-

وانكسر القلب

نظر الجميع إلى عمر في فضول فأخرج من جيبه منديلا قطنيا وخلع نظارته الطبية وأخذ يجفف عن وجهه العرق برغم برودة الجو. لم ينتظر المحقق أن يفسر لهم عمر عبارته بل أردف مفجرا مفاجأته:

- أستاذ عمر قال لى إن أجازة أستاذ عبد الله ماكانتش مرضيّة ولا حاجة.

صمت المحقق مراقبا وقع عبارته على الجميع، ثم أكمل قائلا:

- دي كانت بسبب شكوك الحاج فيه و...

- إيه الكلام الفارغ ده؟

قاطعه أدهم في غضب.

- طيب إيه رأيك نسأل صاحب الأمر نفسه، ها يا أستاذ عبد الله؟

تحولت نظراتهم تجاه الأستاذ عبد الله الذي بدا الانكسار عليه. ازدرد الرجل لعابه ثم قال بصوت خافت لا يكاد يسمع:

- الكلام حقيقي يا أستاذ أدهم. منه لله اللي كان السبب. لكن الحاج أكيد كان حاسس إني مظلوم، علشان كده مارضيش يقول لحد فيكم، هو قال لي إنه هياخد مهلة يدرس الأمور بنفسه، وليلة الحادثة أنا كنت عايز أروحله وأراجع معاه الورق وأريحه، بس يظهر إني اتأخرت.

قالها ثم أطرق برأسه في حزن، فسأله المحقق:

- ليه استنيت كذا يوم قبل ما تعمل الخطوة دي؟ إيه، اكتشفت حاجة جديدة مثلا؟

- أول كام يوم كرامتي كانت ناقحة عليا، بس مراتي فضلت تفكرني بأفضال الحاج عليا وثقته فيا وتقولي بلاش تسيب ولاد الحرام يدخلوا بينكم. نزلت قعدت ع القهوة أدور كلامها ف دماغي.. شوية وقلت مابدهاش، لازم أروح للحاج وأتكلم معاه وأشوف إيه اللي ف دماغه، لكن للأسف مالحقتوش.

قالها الأستاذ عبد الله وهو يحرك رأسه يمينا ويسارا في أسى. أومأ المحقق برأسه، ثم وجه سؤاله التالي لسامح عامل «البوفيه».

- وأنت؟ تحركاتك ليلة الحادثة؟

- كنت على القهوة مع أصحابي، وكلهم يشهدوا يا بيه. أنا بس عايز أقول حاجة، يوم الحادثة كنت داخل بالقهوة على الحاج وكان بيتكلم في التليفون، ماعرفش كان بيكلم مين، كان بيقول بالنَص: «مش عايز أبلغ البوليس إلا لما اتأكد، أنا عندي شكوك علشان كده هاراجع الورق اللي عندي كويس، لو لقيت حاجة هاتكلم معاه، وإذا طلعت شكوكي ف محلها هابلغ البوليس طبعا، أنت عارف، كله إلا الأمانة».

- ماتعرفش كان بيكلم مين؟ أو بيتكلم على مين؟

- لا والله يا سعادة البيه.

- وأنت يا عشري؟ تحركاتك؟

- الحاج قال لي إنه هيسهر شوية وطلب مني أستناه. نزلت استنيت في العربية وعلى الساعة 8 كده كلمني وقال لي أروح لأنه هيتأخر وعارف إن ابني تعبان.. وإنه هيرجع البيت بمعرفته.

- هو متعود يرجع البيت مشي؟

- ساعات، علشان يتمشى، لكن يومها كان مطر، فقلتله هاستناك، رفض وقال لي إن فيه حد احتمال يجيله، وهيبقى يخليه يروّحه.

- ماتعرفش مين اللي كان جايله؟

- لا والله.

- وأنت مستنيه ف العربية، ما شفتش حد طالع الشركة؟

- الصراحة أغلب الوقت كنت ما بين الصحيان والنوم، لحد ما سمعت أذان العشاء فاتمشيت للمسجد صليت ورجعت.

- يعني ماشفتش حد خالص؟

- بصراحة.. شفت.

انتبه المحقق وضاقت عيناه.

- شفت مين؟ والساعة كام؟

- شفت الأستاذ حسام، نازل من الشركة حوالي الساعة 8:30 كده.

- أنت أكيد مجنون، مجنون أو كداب.

هدر بها حسام في غضب.

- لحظة يا أستاذ حسام لو سمحت. ركز معايا يا عشري، أنت شفت حسام وهو طالع ولا وهو نازل؟

- وهو نازل، أصل وأنا باتحرك بالعربية لقيت البنزين ناقص، فقلت أمون بالمرة، حطيت بنزين ورجعت لفيت من ورا الشركة. وأنا جاي بقى من الشارع العمومي شفت أستاذ حسام نازل من الشركة، متهيألي الساعة كانت تجيلها ما بين 8 و8 ونص.

- الحاج ما كلمكش تاني بعدها؟

- لا.

- إيه رأيك يا أستاذ حسام في الكلام ده؟

- كداب طبعا، أو يمكن شاف حد تاني، ليلتها كان مطر جامد، أكيد الرؤية كانت صعبة.

رد عشري قائلا:

- ممكن تسألوا محروس.

- محروس مين؟

- حارس المبنى اللي فيه الشركة.

راجع المحقق الأوراق بين يديه ثم قال:

- مكتوب عندي إن اسم حارس العقار أمين مش محروس. وإن تم استدعاؤه بس اتضح إنه خارج القاهرة وجاري ضبطه وإحضاره.

- مظبوط، محروس هو حارس وردية النهار وأمين حارس وردية

الليل. لكن ليلتها أمين ماجاش فمحروس كمّل ورديته.

ظهر الضيق على وجه المحقق إلا أنه كتمه قائلا:

- تمام.. يبقى نسأل محروس.

- بس أنا ماشفتش محروس من ساعتها.

- هنعمل تحرياتنا.. المهم أنت بعد كده رحت فين يا عشري؟

- روّحت.

- يعني وصلت بيتك الساعة كام؟ وعندك شهود؟

- وصلت على الساعة 11 كده.. بنتي الكبيرة كانت صاحية.

- الساعة 11؟ ليه أنت ساكن فين؟

- عين الصيرة يا بيه، وعديت جبت شوية طلبات من البقال اللي على أول الحارة ودردشت معاه شوية. اسمه عباس، ممكن حضرتك تسأله.

- هنشوف.. فاضل حاجة أخيرة.

التقت الأنظار على وجه المحقق في فضول. فأخرج يده من جيبه بطريقة مسرحية وفتحها أمامهم لتتدلّى منها ميدالية بها قرد مخملي صغير.

سمعت شهقة خافتة علا عليها صوت مايسة وهي تهتف:

- القرد بتاع شنطتك يا أبرار.

نظر المحقق إلى أبرار نظرة ذات مغزى ثم قال:

- القرد ده لقيناه تحت مكتب الحاج.

غطت مايسة فمها بكفها وحدجها أدهم بنظرة لوم فنظرت إلى أبرار وهمست:

- أنا آسفة.

وجه المحقق سؤاله التالي لأبرار في صرامة:

- يخصك يا آنسة أبرار؟

أجابته في ثبات:

- لا مش بتاعي.

- تفسري بإيه كلام مدام مايسة؟

- أنا عندي شنطة متعلق فيها قرد شبهه، لكن درجة اللون مختلفة، ده رمادي فاتح، بتاعي لبني. والشنطة موجودة في البيت لو حضرتك تحب تتأكد؟

- هنشوف.. بس لو كان ضاع ممكن تشتري غيره، صح؟

- هو حضرتك ليه بتحاول تورط أبرار؟

هتف أدهم في غضب.

- أنا جاوبت على السؤال ده.. الشكوك بتحوم حوالين الناس اللي معاهم أرقام الخزنة.

- وأنا قلتلكم الأرقام مش معايا.

ردت أبرار في حنق، ثم أردفت في تحدٍ:

- وبعدين ليه هاعمل كده في الحاج عبد اللطيف؟ إيه الدافع؟

صمت المحقق ورمقها بنظرة أقلقتها، ثم ابتسم وقال:

- علشان تتجوزي أدهم.

تفاجأت أبرار ونظرت متسائلة إلى أدهم الذي بدا عليه الحرج، بينما تدخّلت صافي قائلة:

- أيوة.. أنا والحاج رفضنا الجوازة دي فممكن تكون قتلته علشان يخلى لها الطريق لأدهم.

لم تصدق أبرار ما سمعت.. انتفضت واقفة وقد غزا الاحمرار وجهها واتسعت عيناها تحدق ذاهلة في أدهم الذي نَكّس رأسه..

وتعالت الهمسات.

***

-16-

لُجة بلا قرار

تكوّمت أبرار على فراشها تحدق في الحائط المقابل بعينين ذاهلتين ومها جارتها بجوارها لا تفهم ماذا جرى ولا تجد ما تقوله لتخففه عنها. ترددت عبارة صافي في مخيّلة أبرار مئات المرات، لم تدر ماذا قيل بعدها، ولا كيف وصلت بيتها، كل ما كانت تعيه هو كرامتها المبعثرة وقلبها المنكسر. ظلّت مها تحاول كسر الصمت واستدراجها في الحديث حتى استسلمت قائلة:

- مش قادرة أصدق يا مها إنه يعمل كده فيا! إزاي وثقت فيه وسلمته قلبي؟

- إيه اللي حصل بس؟

- فاكرة لما حكيتلك إنه فاتحني علشان يعرف رأيي قبل ما يفاتح أهله؟ ساعتها قلتلك إني خايفة مايوافقوش؟ وإنتي قلتيلي مستحيل وكلام كده، أهو طلع بيكذب عليا، أهله كانوا رافضنّي ومع ذلك اتجرأ يقولي الكلام ده، صغير وكداب وتافه، مش قادرة أسامح نفسي إني اتخليت عن حذري وصدقته.

- ممكن تكوني ظالماه؟

انتصبت أبرار في فراشها قائلة في غضب:

- مها، ماتستفزينيش.. ظالماه إزاي؟ باقولك طلع قايل لأهله، وهما رفضوني، وهو ماقاليش.. ومش بس كده، ده مامته الهانم لمّحت

للمحقق إني ممكن أكون قتلت مستر عبد اللطيف علشان أتجوز ابنهم.

شهقت مها وامتقع وجهها. كانت تظن أن أبرار تهوّل الأمر بسبب اعتدادها الشديد بنفسها، والكسر الذي أصاب قلبها. لكن أن تحاول تلك الأسرة توريط صديقتها في جريمة فذلك أمر لا يحتمل وجهات نظر!

- قوليلي بالظبط إيه اللي حصل.

حكت لها أبرار تفاصيل الواقعة وختمتها بعبارتها:

- ما وجعنيش اتهامهم ليا على قد ما وجعني كذبه عليا.. آه لو شفتي وشه بعد كلام مامته.. حسيت إنه صغير قوي، وإني عبيطة قوي قوي، بعد كل الناس اللي صديتهم، قلبي يتعلّق بده!

- عندك حق تزعلي، كان مفروض وبالذات في الظروف دي يكون صريح معاكي، بس.. بس هو أكيد عمل كده علشان بيحبك وخايف على زعلك.

- الحب من غير مسئولية مايسواش حاجة.

- مايبقاش قلبك حجر.

- حجر! أنا قلبي بقى فتافيت يا مها.

*

على الجانب الآخر..

كان هناك قلب ثانٍ منسحق يبث عذاباته وحيرته..

- إزاي يا أدهم عملت كده؟

- مش عارف يا عمتو مش عارف، أهو اللي حصل.

- مافيش حاجة اسمها اللي حصل، أنت المفروض راجل ومسئول بتوعدها بالأمان والحنان والذي منه، وتيجي تهدم كل ده بتصرف زي ده.

- عارف إني استعجلت لما فاتحتها قبل ما آخد موافقتهم، لكن يوم ما اتعشينا مع بعض الجو كان رومانسي، ولقيتني باصارحها وباقولها اللي في قلبي.

- يبقى كان لازم وقتها تقولها الحقيقة كاملة.

- أقولها إيه يا عمتو؟ أقولها إن مامتي رفضتها، وإن بابا بيخاف يعارض ماما، وإنه وعدني في السر يحاول يقنعها واحدة واحدة! ماقدرتش طبعا، كانت هتقفش وتسيبني، إنتي عارفة هي قد إيه حساسة ومعتدة بنفسها.

- مش كان أحسن تيجي منك؟ بدل التلميحات السخيفة اللي اتقالت.

- مانا كلمتك علشان كده، هي مش راضية ترد على مكالماتي، كلميها إنتي أو كلمي عمتها أو باباها.

- مش هينفع أي كلام دلوقت يا أدهم، استنى شوية الدنيا تهدا، وإن شاء الله لو ليك نصيب فيها مافيش قوة في الدنيا هتقدر تحوشها عنك.

أنهى أدهم المكالمة وهو يشعر بالندم. كيف فعل ذلك بمحبوبته؟ كيف تحول غرضه النبيل بحفظ كرامتها وعدم جرحها برفض والدته إلى ذلك الألم واليأس والتجريح!

شعور حاد بالفقدان اكتنفه، فلم يكد يتمالك نفسه إزاء فقدان الأب حتى فقد الحبيبة. سحابات قاتمة تجمعت في الأفق، تجمعت وتجمعت حتى بات غائصًا في لجة سوداء لا قرار لها. وبكل ما اعتمل فى قلبه من يأس هتف:

«يااااا رب».

*

وصل أدهم الشركة مبكرا ودخل من فوره إلى مكتب أبرار فوجد المكتب على غير العادة شاغرا!

انطلق نحو مكتب مايسة سائلا في لهفة:

- فين أبرار؟

أجابته مايسة بنبرة لم يستطع تفسيرها:

- ماجاتش.

وإزاء صمته وانتظاره أردفت:

- ومش هتيجي.. آنسة أبرار قدمت استقالتها.

- استقالتها!

- بعد اللي اتقال ف الجلسة مش معقول تيجي تاني، هي

ماعندهاش كرامة؟

عجز أدهم عن الرد فلف بجسده خارجا من المكتب ليصطدم بعمر، وكأنما تعلق بقشة، أمسك به قائلا:

- عمر، تعالى، عايزك.

انطلقا معا نحو مكتب أبرار الشاغر وجلسا.

- عمر هو فعلا أبرار قدمت استقالتها؟

- أيوة.. وماتزعلش مني يا أدهم، بس أي واحدة في مكانها لازم تعمل كده، ليه تحطها في موقف زي ده؟

اختنق أدهم من نبرة اللوم التي تلاحقه، فقام بتغيير الموضوع:

- إيه موضوع الأستاذ عبد الله؟ عايز أفهمه بالتفصيل.

استجاب له عمر فحكى له كيف اكتشف والده منذ فترة وجود عجز كبير في الميزانية لم يستطع فهم أسبابه، فقرر إيقاف الأستاذ عبد الله عن العمل كإجراء احترازي حتى يراجع جميع الأوراق بنفسه عله يكتشف الحقيقة.

- واكتشف؟

أطرق عمر برأسه مشفقا.

- متهيألي موته أكبر دليل على إنه اكتشف!

صُدِمَ أدهم لبديهية ما قاله عمر، وتملكته المشاعر الضبابية مجددا فانسحب عمر تاركا أدهم مع أفكاره.. لم يكن أدهم قد فكر في مقتل

والده من الناحية الجنائية قبل اللحظة، انشغل بإجراءات الجنازة والعزاء، ومشاعر الفقد والحزن التي سيطرت على أسرته، ثم انشغل بالتفاصيل الإجرائية التي طلبها المحقق لتحركاتهم جميعا، ثم ما حدث مع أبرار.

ولكن الآن.. وفي تلك اللحظة.. اتضحت الرؤية الثقيلة أمام عينيه، لقد قُتل والده. وهناك قاتل.. شخص على الأرجح يعرفونه وقريب منهم..

امتعض أدهم عند وصوله لهذه النقطة.

فكرة أن يخون أحدهم أباه، ويقتله، فكرة حادة وصعبة التصديق.

هل كان هناك اختلاس فعلا؟ وهل اكتشف والده الفاعل ولذلك قتل؟

أم هناك أسباب أخرى؟

حاول في البداية اعتناق فكرة أفلاطونية مفادها أن الجميع يحبون والده ولا يمكن أن يؤذيه أحد. ثم اضطر لحذفها، وهو يذكّر نفسه غاضبا بأن والده قد قُتل بالفعل. جاب أدهم بعقله علاقات والده بحثا عن القاتل. بدأ بالمقربين يراجع أيام أبيه الأخيرة معهم، ثم هتف:

- عشري!

وقد ارتسم في مخيّلته وجه عشري اليائس صبيحة يوم الحادث.

- علشان ابنه.

برغم شعوره بالخسة لاتهامه السائق الذي عاشرهم أعواما مديدة، وكأنه كبش فداء، يدرأ باتهامه الشكوك عن الآخرين ممن يحب، لم يجد بدا من الاستمرار فقال لنفسه:

- عشري هو الوحيد اللي قال على موضوع الساعة، افرض كذاب، وقال كده علشان يبعد عن نفسه الشبهات.

قرر الاتصال بعمته.

- عمتو، مين اللي قتل بابا؟ ممكن يكون عشري؟

ثم حكى لها على الملابسات التي تؤيد اتهامه فسألته:

- طب ليه عشري هيألف موضوع الساعة؟

- أكيد ماعندوش حجة غياب الساعة 12:30.

- هو عنده شهود كان فين من 7:30 لـ 10:30؟

بهت أدهم ولم يرد فسألته مجددا:

- معاه أرقام الخزنة؟ مش قلتوا القاتل أخد المسدس من الخزنة؟

- .....

- كمان أنت بنفسك قلت إن باباك دايما بيقول لعشري لأ على السلفة ويرجع يوافق، صح؟ وبعدين هو فيه فلوس اتسرقت من المكتب يومها؟

- ماعرفش.

- أنت استعجلت يا أدهم في اتهامك، والاستعجال مش في

صالحنا.

ارتاح أدهم للـ «نا» التي استخدمتها عمته في الحديث، إنه ليس وحده.

- طب إيه يا عمتو؟ شايفة إن عشري بريء؟

- شايفة إننا نستنى نتيجة التحقيقات هتوصلنا لإيه الأول. هما وصلوا لمحروس؟

- محروس مين؟

- حارس الأمن اللي كان واقف ليلتها؟ استجوبوه؟ أكيد شهادته هيبقى فيها معلومات مهمة.

- عندك حق، هاسأل فعلا.

- وادعي.. ادعي كتير يا أدهم ربنا يظهر الحق ويريح قلوبنا.

- حاضر يا عمتو.

***

-17-

فارغ.. ويقول الكثيرا

- محروس في غيبوبة.

قالها المقدم أحمد لأدهم ثم تريّث قليلا قبل أن يردف:

- محروس خبطته عربية وهو مروح يوم الحادثة، ومن ساعتها وهو في غيبوبة، وطبعا مش هنقدر نستجوبه غير لما يفوق، آدينا مستنيين.

- يعني التحقيق هيفضل شغال؟

- طبعا.. أنت مش عايز تعرف مين اللي قتل أبوك ولا إيه؟

- أكيد عايز.

- كويس.. يا ريت تكونوا موجودين جميعا النهاردة الساعة 7:00 لأن فيه جديد.

- خير؟

- هتعرف لما نتقابل.

- في الفيلا برضه؟

- إيه تحب أستدعيكم عندي في القسم؟

- لا خالص مش قصدي.

- يا ريت تبلغهم.. بس المرة دي بلاش الموظفين، أنا عايزها عائلية،

أنتم ونسايبكم وبس.

أنهى أدهم المكالمة الهاتفية وشعر بقلق مبهم تجاه ذاك الجديد الذي ذكره المحقق. قام بعمل الاتصالات اللازمة لدعوة الجميع إلى الجلسة الجديدة. وفي تمام السابعة خطا المقدم أحمد بخطواته الثابتة من باب الفيلا.

تأمل الموجودين ثم قال بنبرة جليدية وبدون ترحيب كعادته:

- أستاذ حسام.

- أيوة؟

- مصرّ إنك ماروحتش مكتب القتيل يوم الحادثة؟ برغم أقوال عشري؟

غصة عميقة نغزت قلب أدهم على وقع كلمة (القتيل).

- أيوة.. زي ما قلتلكم.. أنا اتمشيت شوية بالعربية وبعدين طلعت على الكافيه، أكيد عشري شاف حد شبهي.

- تحت إيدي دليل بيقول إنك كنت هناك.

- دليل؟

تساءل حسام في حذر وقد ضاقت عيناه.

أخرج المحقق من جيبه ورقة صغيرة مطويّة، لوّح بها في الهواء ثم فتحها كساحر ينشد إبهار أعين الجمهور. تعلّقت أنظار الجميع بتلك الورقة المبهمة، ثم علّقت شيري متعجبة:

- ده شيك فاضي.

- فاضي آه.. بس بيقول كتير، بصوا معايا كده.

واستمرارا في دور الساحر، رفع المحقق ورقة الشيك في الضوء قائلا:

- الشيك الفاضي ده عليه آثار كتابة الشيك اللي كان فوقه. شيك بقيمة عشرين مليون جنيه، كتبه الحاج عبد اللطيف يوم الوفاة، واسم المستفيد...

صمت الجميع وانحبست أنفاسهم حتى أفصح المحقق قائلا:

- اسم المستفيد: حسام مهدي الجمّال.

- إيه الجنان ده!

هتف الحاج مهدي في غضب، بينما ضاقت عينا حسام أكثر وهو يراقب المحقق الذي وضع الشيك في جيبه في هدوء قائلا:

- مافيش داعي للإنكار يا حسام بيه، الأفضل تقولنا اللي حصل يومها.

- مش هاقول أي كلمة إلا في وجود المحامي بتاعي.

ظهر الذعر في نبرة شيري وهي تتساءل حولها:

- إيه يا مامي اللي بيحصل ده؟ أدهم فيه إيه؟ إزاي يتهموك كده يا حسام؟

قاطعها المحقق:

- مافيش أي اتهامات لسه يا مدام، دي أسئلة بصفة ودية، يا ريت تشجعي جوزك يرد عليها.. بصفة ودية برضه.

اقترب الحاج مهدي منه.

- ممكن أشوف الشيك؟

أخرج المحقق الشيك فتفحصه الحاج لبرهة ثم ردّه إليه وتوجه نحو ابنه يسأله:

- حسام إيه موضوع الشيك ده؟

اضطرم وجه حسام واتّقدت عيناه ولكنه لم يجب والده، وهنا قالت صافي بلهجة اتهام واضحة:

- معقول يا حسام تكون قبضت من عمك لطيف تمن جوازك من شيري؟

- مامي إيه اللي إنتي بتقوليه ده؟

هتفت شيري وهي تقترب من حسام وتلتصق به. لم يفت على المحقق ملاحظة الارتخاء الذي ظهر على ملامح حسام فابتسم لنفسه ولم يعقّب، بينما قال مهدي بغضب:

- الكلام ده مش حقيقي، حسام.. أنا عايز تفسير.

تدخّل سيف قائلا:

- مش حقيقي ليه يا بابا؟ أكيد بعد خناقته الأخيرة مع شيري طلع على عمو عايز يطلق، فعمو عرض عليه فلوس تمن استمراره معاها، واضحة قوي.

- اسكت يا سيف.

هدر الحاج في غضب. أما حسام فقد أشاح بوجهه وشيري تناشده:

- قول لهم إن الكلام ده مش حقيقي يا حسام قول لهم.

قطع المحقق الجو الدرامي السائد قائلا ببرود:

- طيب نغير الموضوع مؤقتا؟ ما إحنا عندنا مواضيع كتيرة النهاردة.. أستاذ سيف، معلش نراجع تحركاتك كده.

- سافرت إسكندرية يوم الحادثة وكنت سهران هناك في نايت كلوب وطبعا عندي شهود على كلامي.

- مش غريبة إنك ماحضرتش عزا الحاج عبد اللطيف؟

- ولا غريبة ولا حاجة، أنا ماليش في الجو الغامق، والصراحة علاقتي بالمرحوم ماكانتش أحسن حاجة.

- لدرجة إنك تقتله؟

تصاعد غضب سيف وهو يصرخ:

- أقتل مين؟ باقولك كنت في إسكندرية وعندي شهود.

- يعني مارحتش الشركة يومها خالص؟

- لا مارحتش.

- طيب وحضرتك يا آنسة رنا؟

- يوم الحادثة كنت في اجتماع طويل من الضهر في فندق في شارع التسعين، خلّصت تقريبا على الساعة 11:00 بالليل.

- تمام، أسيبكم دلوقت ونتقابل قريب.

قالها المحقق، فلم يرد عليه أحد. كان كل من الموجودين غارقا في أفكاره الخاصة، فانتهزها فرصة ليتفرّس في وجوههم علها تشي بشيء!

وجه شيري وعيناها الباكيتان التائهتان وجسدها الملتصق بحسام.

حسام وقد تجمدت ملامحه بلا تعبير وسرحت عيناه بعيدا.

وجه أدهم المتألم الحائر.

وجه صافي الحزين المنهك.

وجه سيف العابث، وجه رنا الملول، وأخيرا وجه الحاج مهدي ونظراته لحسام. لم يستطع المحقق تفسير تلك النظرات.

أكانت تساؤلا؟ لوما؟ أم حذرا!

***

-18-

ماذا بعد؟

لبّى المقدّم أحمد الميرغني استدعاء رئيسه اللواء يحيى الشناوي، الذي كان حريصا على متابعة التحقيقات بنفسه، كون المجني عليه من رجال المال البارزين بالدولة، وشريك ونسيب عضو مجلس شعب معروف.

- إيه يا سيادة المقدم، معقولة لغاية دلوقت مافيش متهم؟

- مافيش أي دليل واضح قدامي يا سيادة اللوا، لكن أنا مكمل في تحقيقاتي لحد ما أوصل للجاني بإذن الله.

- ماعندكش أي شكوك؟

- شاكك في حسام.. علشان موضوع الشيك وإصراره على إنكار للزيارة.

- حسام الجمّال؟ خللي بالك، أبوه عضو مجلس شعب وممكن يصدعنا، مافيش اتهام إلا بأدلة واضحة.

- حضرتك ماتقلقش، أنا متوقع لما حارس العقار يدلي بأقواله الدنيا هتبان أكتر.

- ده أكيد، بس الحادثة بتاعته دي توقيتها مثير للشكوك، هل ممكن يكون الحارس شاف الجاني وهو داخل؟ ولما حصلت الجريمة، القاتل استنى الحارس وضربه بالعربية.

- أنا فكرت في الاحتمال ده، لكن إحنا للأسف ماعندناش أي معلومات عن العربية اللي خبطته، كانت ليلة ممطرة، ومافيش أي شهود.

- والكاميرات؟

- للأسف مش شغالة، العقار لسه في مرحلة التشطيب.

- إزاي شركة تفتح وتشتغل والكاميرات لسه مش شغالة؟ فين الحي؟

أجابه المقدم أحمد بنظرة ذات مغزى جعلته ينفعل قائلا:

- الله يخرب بيت الرشاوي اللي خليتنا مش عارفين نشوف شغلنا.

- مش عايز حضرتك تقلق، الدكاترة متوقعين محروس يفوق في خلال كام يوم، أنا طلبت حراسة مشددة عليه علشان لو فعلا الحادثة كانت مقصودة، القاتل ما يكررش محاولته.

- ممتاز، إنما إيه حكاية إنك كل شوية تجمع الناس وتتكلم معاهم؟ من إمتى بنعمل تحقيقاتنا بالشكل ده؟

- والله يافندم أنا حققت مع كل واحد فيهم لوحده أكتر من مرة، وقاصد أجمعهم على أمل يوقعوا بعض في الكلام، أو حد فيهم يكشف كذبة حد تاني.

- مش محتاج أفكرك قد إيه القضية دي مهمة، سواء لشخصية القتيل، أو علشان خاطر الحاج مهدي.

*

طرق أدهم باب غرفة أخته برفق ولمّا لم تجبه فتحه ببطء ليجدها جالسة على الأريكة وعيناها معلقتان في الفراغ.

اقترب منها وجلس بجوارها:

- شيري.

ظلّت على سكونها وشرودها.

- أنا عارف إنك زعلانة من اللى حصل، وكمان عارف إنك بتحبى حسام قوي.

وكأنما أجّجت عبارته أحزانها، استدارت إليه قائلة بغضب طفولي:

- أيوة بحبه، وعارفة إنك مش بتحبه علشان هو أشطر منك في الشغل وبابا الله يرحمه كان بيثق فيه، وعارفة كمان إنك عايز تبعد الشبهات عن حبيبتك أبرار حتى لو كان التمن إنهم يتهموا حسام.

فاجأت كلماتها أدهم فقام من جوارها دون أن ينبس ببنت شفة، ولكنها قامت وراءه وأمسكت بيده مترجية:

- أدهم أنا آسفة.. والله آسفة ماقصدش، أنا حاسة إني لوحدي ومش عارفة أقول إيه ولا أفكر ف إيه، سامحني وماتزعلش مني، أنا بحب حسام ومش عايزاه يسيبني.

تردد أدهم للحظة، ثم قرر الجلوس بجوارها مجددا وهو يقول في هدوء:

- إنتي مش لوحدك يا شيري، أنا هنا جنبك وبحبك وإنتي عارفة كده كويس.. مقدّر حبك لحسام، بس لازم تفكري بعقلك، ده راح

ياخد فلوس من بابا علشان يفضل متجوزك، إزاي تقبلي كده على نفسك؟

- مش مهم.. أنا بحبه.

- بلاش كرامتك يا ستي، فكّري فيه هو، ذنبه إيه يعيش مع واحدة مش.. مش بيحبها.

قالها مترددا فحدّقت في وجهه غير مصدقة، ثم امتقع وجهها.

- قصدي إنك تستاهلي واحد يحبك ويقدرك يا شيري، مش يعيش معاكي علشان الفلوس، وهو برضه، من حقه يعيش مع واحدة بيحبها ويشاركها حياته وأحلامه.

- لو بتحبني بصحيح، كنت رحت كلمت حسام وعقّلته بدل ما تقولي الكلام ده، زي ما بابي وعمو مهدي كانوا بيعملوا، الله يرحمك يا بابي، مش كفاية بابايا راح كمان عايزين تاخدوا جوزي مني.

ثم أردفت باكية:

- كل اللي بحبهم بيمشوا ويسيبوني.

نظر إليها أدهم حائرا، لا يريد أن يجرحها بكلام أكثر قسوة، ولكن متى ستدرك هي حقيقة الموقف، متى ستخلي سبيل حسام، وتفتح صفحة جديدة لنفسها؟

هل استعجل في فتح الموضوع؟

نعم، كان يجب أن يصبر قليلا حتى تهدأ نفسها بعد فقدها لأبيها، قبل أن يحاول استخدام المنطق معها في أمر زيجتها.

تمنّى أن يظهر الجاني في قضية أبيه حتى يستطيع أن يغلق هذه الصفحة من عقله ويتفرّغ لموضوعاته المعلقة.

ترى.. متى سيتكلم محروس؟ وهل سيضيف جديدا للتحقيق بأقواله؟

*

- أهلا بيكم.. آسف على الإزعاج وشكرا لمدام صافي اللي بتستقبلنا بدل ما نزعجكم معانا في القسم.

هكذا استهلّ المقدم أحمد الجلسة بصوته الجهوري المتمهّل وهو يجيل بنظراته بين الحضور حيث امتلأ البهو هذه المرة بالجميع..

أفراد الأسرتين، والموظفين كذلك.

جلسوا متناثرين في القاعة. بعضهم فرادى، والآخرون في مجموعات متفرقة جالسين في وجوم، بلا أحاديث متبادلة، ولا همهمات. فقط نظرات.. تروح وتجيء. بينما تباينت التعبيرات على وجه كل منهم، بيد أن الترقب والفضول الخفي كانا قاسما مشتركا، أرادوا معرفة ما يعرفه محروس بعد أن تعافى وبات قادرا على الإدلاء بأقواله.

- ها يا محروس، احكي للأساتذة شفت إيه و.. مين يوم الحادثة.

خاطبه المحقق مشددا على كلمة «مين» بشكل لافت. نظر الجميع نحو الشاب النحيل الأسمر الذي كان أشبه بالخيط المقوّى، بعينيه الجاحظتين، وأسنانه البارزة، ومظاهر سوء التغذية الأخرى الواضحة على محياه. بينما ابتسم محروس سعيدا بكونه محط الأنظار.

- أنا يا سعات البيه شفت الموظفين كلهم يومها.

- كلهم جم تاني بعد الضهر؟

- لا أنا قصدي الصبح يعني.

- محروس، أنا باسأل شُفت مين من الموظفين بعد الساعة 7؟

- بالليل يعني؟ المفروض بامشي الساعة 6 ويجي الواد أمين يستلم مني. فلما أمين ماجاش، فضلت قاعد مكاني.

- عظيم، شفت مين بقى؟

- شفت الأستاذ حسام.. كان طالع الشركة وزعابيب الدنيا بتتنطط في وشه، ده حتى ما رماش عليا السلام، لكن وهو نازل كان مبسوط ولا كأنه كسب اللوتاريه.

ابتسم حسام نصف ابتسامة ولم يعقّب.

- شفت مين تاني؟

- ماشفتش.

- محروس ركّز شوية، ما شفتش حد تاني؟

- ماشفتش.

- طيب أنت ماقمتش من مكانك؟ ماتحركتش خالص طول الليل؟

- الصراحة يعني.. قمت. كنت محصور يا سعات البيه، رحت الجامع اللي ورانا، فكّيت مية واتوضيت وصلّيت ورجعت على طول.

- كانت الساعة كام؟

- مش عارف، يجي على الساعة تسعة ولا تسعة ونص.

- يعني غبت حوالي ربع ساعة مثلا؟ متأكد إنك ماشفتش حد خالص؟

- الصراحة يعني.. وأنا راجع من الجامع شفت واحدة طويلة ورفيعة كده ومتحجبة، خارجة بسرعة من المبنى.

شمعت شهقة خافتة فتوقف محروس على إثرها عن الكلام ولكن المحقق أشار له أن يكمل فأردف:

- بس على بال ما وصلت كانت هي بعدت.

- ما شفتش وشها؟

- لا والله يا سعات الباشا.

- إمم.. خلينا نشوف.. طويلة ورفيعة ومحجبة!

قال المحقق بتمهّل وهو يرمق أبرار بنظرة ذات مغزى. كانت أبرار قد تخلفت عن جلسات التحقيق الوديّة السابقة ولم يرها أحد سوى اليوم. أتت بصحبة أبيها واختارت لجلستهما ركنا قصيا من البهو، فلما بدأ المحقق بالتلميح هبّت قائلة:

- من فضلك، أنا مش هاسمح بأي تلميح من أي نوع.

- اهدي يا أبرار.

قالها أبوها بخفوت ممسكا بكفّها، بينما قال المحقق:

- تلميح إيه يا آنسة؟ ده تحقيق رسمي.. والمواصفات اللي قالها محروس ماتنطبقش غير عليكي.

- تنطبق على مليون واحدة تانية، قلتلكم إني مارجعتش الشركة يومها.

- عموما إحنا مش في مرحلة اتهام، إحنا بنسمع أقوال الشاهد ومافيش داعي للشوشرة، ها يا محروس ماشفتش حد تاني؟

- شفت عشري طبعا وهو طالع للحاج الله يرحمه.

ضيّق المحقق عينيه:

- عشري؟

- أيوة.. ده حتى وهو طالع قال لي ادعيلي، وأما جه نازل قلتله هاااه طمني، ماردش عليا قليل الأصل. كان مشغول بيعد الفلوس.

- فلوس! إيه يا عشري؟ ماقلتلناش أنت الكلام ده..

توتّرت ملامح عشري وغاض لون الدماء من وجهه:

- هه، آآآ ماجاتش فرصة.

- إحنا هنهزر، يعني إيه ماجاتش فرصة؟ ده تحقيق مش لعب عيال.

تلجلج عشري قائلا:

- مانا الصراحة خفت أقولكم على الحقيقة أتورط، لكن أنا لا يمكن أأذي الحاج مهما حصل.

- قل لي اللي حصل وسيبلي أنا أقرر.

- كنت محتاج فلوس علشان ابني العيان وكنت مروّح مكسور والله وشايل هم مراتي هاقولها إيه. بعد ما حطيت البنزين ورجعت وشفت أستاذ حسام وهو نازل من عند الحاج وشكله مبسوط اتفائلت، ظنيت إن الحاج مشكلته اتحلت وهيبقى رايق، فقلت أطلع له تاني أجرب حظي معاه.

- وبعدين؟

- لما طلعته كان بيراجع ورق وشكله مشغول، لما شافني فضل مكشر، ومن غير ولا كلمة، مد إيده في جيبه وطلع رزمة فلوس وعد منهم كام ورقة وناولهم لي، استغربت إنه مافاصلنيش زي العادة، نزلت من سكات أعد الفلوس وأنا مش مصدق نفسي وطرت على البيت لمراتي والعيال.

- اذاك كم؟

- 1000 جنيه حضرتك؟

- كانت الساعة كام وقتها؟

- كانت تيجي 8:30 مثلا يا بيه.

- وسبت الحاج عايش وقتها؟

- عايش طبعا أومال إيه!

- غريبة إن ماكانش فيه فلوس مع الحاج لما عاينا الجثة، ماكنش فيه الرزمة اللي إنت بتقول عليها.

- مش عارف يا بيه.

- تمام.. وأنت يا محروس، آخر كلام، ماشفتش حد نازل أو طالع تاني؟

نبرة المحقق جعلت محروس يتوتّر، تساءل إن كان يعرف.. استجمع شجاعته وهتف بغتة:

- شفت الأستاذ سيف.

هبّ سيف كالملسوع:

- أنت هتتبلّى عليا ولا إيه؟ أنا كنت ف إسكندرية.. وعندي شهود.

تدخل المحقق قائلا:

- بالراحة يا أستاذ سيف لو سمحت، خلينا نسمع أقواله، ها يا محروس متأكد؟

- أيوة شفته من بعيد وهو بيعدي الطريق.

- الكلام ده جنان رسمي، هاعدي الطريق ليه وأنا معايا عربيتي؟ وبعدين أنا عمري ما بامشي على رجليا والكل عارف، والدنيا يومها كانت ضلمة ومطر، عرفني إزاي من بعيد كده؟

- إيه رأيك في الكلام ده يا محروس؟

تلعثم محروس قائلا:

- مش عارف، يتهيألي شفت الأستاذ سيف كده من بعيد، وباينّه كان حاطط البالطو بتاعه ده على راسه من المطر، بس الشهادة لله،

هو كان بعيد مني، يعني صعب أميّز ملامحه، لكن الغريبة إني متأكد إني شفت وشه يومها، وكتاب الله.

- هنخرّف بقى!

قالها سيف بسخرية، ثم أشاح بيده لمحروس موجها كلامه للمحقق:

- بيقولك من بعيد، وبعدين من قريب، بيخرف يا باشا، كلنا عارفين إنه مابيشيلش وشه من ع الموبيل، ودلوقت عمال يقولك شفت مين نازل ومين معدي، تلاقيه عايز يعمل لنفسه قيمة بالكلمتين دول.

انكمش محروس على نفسه بينما سأله المحقق:

- ها يا محروس متأكد إنك شفت الأستاذ سيف؟

تردد محروس:

- مش عارف.

- شفت حضرتك؟ أي كلام أهو.

قالها سيف بابتسامة تشفٍّ وهو يغوص بثقة في مقعده.

- محروس، لو حد دخل أو خرج من الجراج ممكن تشوفه؟

نظر محروس نظرة زائغة ولم يرد فتدخل عمر قائلا:

- حضرتك أي حد بيطلع من سلم الجراج أو ينزل منه لازم يعدي من قدام محروس، والباب اللي بين الجراج وسلم المبنى مش بيتفتح إلا بزرار الاتصال الداخلي «الإنتركم» من عند محروس أو

من الشركة فوق.

تمهل المحقق متفكرا في ما قاله عمر قبل أن يقول:

- يعني لو حد عايز يدخل أو يخرج من الجراج للمبنى لازم يطلب محروس على الإنتركم علشان يفتحله.

- مظبوط.

- أستاذ حسام.. بعد ما محروس أكد مرورك على الحاج الله يرحمه في مكتبه، مش عايز تقول حاجة؟

صمت حسام ولم يعقب. أومأ المحقق برأسه ثم قال بلهجته المسرحية:

- شكرا يا جماعة.. التحقيقات مستمرة وإن شاء الله أبلغكم بالجديد أول بأول.

وسرعان ما انفض الجمع بانتظار ما ستسفر عنه التحقيقات.

***

-19-

اللا شيء

مرّت الأيام التالية ثقيلة.

لم تعد هناك جلسات تحقيق ودية، ولم يظهر أي جديد.

توقف المقدّم أحمد عن الاتصال بهم، واختفى تماما عن المشهد.

والشركة أصبحت مكانا خانقا لأدهم، خاصة بعد أن تعاون حسام مع عمر على إدارتها بكفاءة منقطعة النظير، ربما بأفضل مما كان يفعل الحاج في أيامه الأخيرة. واللذان كانا يصبران أدهم على وجوده في الشركة قد ذهبا بلا عودة: والده الحبيب، وأبرار.

في البيت، كانت الأجواء خانقة بالمثل، شيري حزينة تبكي كثيرا بعد أن اتخذ حسام العمل ذريعة وأصبح يطيل الغياب وقد غادر خاطر حميه الصورة فلم يعد مضطرا للتمثيل. وصافي أصبحت عصبية، تثور لأتفه الأسباب.. تلمز أدهم بمحبوبته متهمة إياها بالتخلص من الحاج، وتلمز شيري بحسام، وكيف قبض ثمن بقائه معها، ولا تكف عن نعي الشركة التي صارت اليوم في يد الأغراب. كانت تتهم أولادها بالفشل على كل صعيد، وعندما شكاها أدهم لعمته نادرة، قالت في حنان:

- حبيبي يا أدهم، ماتقساش على أمك.

- أنا برضه؟ حرام عليكي يا عمتو، بعد كل اللي قلتهوولك.

- شوف يا حبيبي، مامتك كانت بتدور في فلك باباك، كان هو

الوتد اللي مثبتها في الأرض ومديها الأمان، مطمنة على كل حاجة في وجوده، مش محتاجة تشيل همّ حاجة، لا همّ تربيتكم ولا همّ الفلوس ولا حتى همّ نفسها، وفجأة لقت نفسها لوحدها من غير سندها، ولقت ولادها مش عارفين يشيلوا الشيلة ولا حتى يشيلوا نفسهم، نفسها تتسند عليكم علشان تتطمن مش عارفة.. ومش عارفة حتى تعبر لكم عن خوفها ووجعها.

تأمل أدهم كلام عمته وتفكّر متأنيا في التحوّل الذي شاب سلوك والدته في الفترة الأخيرة؛ كلماتها الحادة، الدوائر السوداء حول عينيها، شكواها الدائمة، استيقاظها باكرا، ملازمتها للبيت أناء الليل وأطراف النهار. يبدو أن عمته محقة.

- طب يرضيكي تتهم أبرار وتظلمها بالشكل ده؟

- صحيح أخبار أبرار إيه؟

نكس أدهم رأسه ولم يعقب.

- معلش يا حبيبي غمة ومصيرها تنزاح.

- تنزاح فين بس؟ ده أنا كنت ناوي أفاتح ماما في الموضوع تاني لما التحقيقات تخلص، شكلي كده هاستنى سنين لحد ما يكتشفوا القاتل.

- طب ما تحاول تجسّ نبضها.

- تفتكري؟

*

- مستحيل يا أدهم.. دي لو كانت آخر بنت في الدنيا.

- ليه يا ماما؟

- كمان بتسأل ليه؟ عايز تتجوز اللي قتلت باباك يا أدهم وحرمتنا منه؟ أنت أكيد اتجننت.

- مين قال كده بس؟

- أيوة قتلته، أنا متأكدة، حتى لو مالقوش دليل.

- يبقى بتظلميها وبتظلميني.

قالها أدهم وقد اسودت عيناه، بينما تهاوت صافي على فراشها تعبا وكأنما ناءت بحملها، وقالت بصوت منهك خال من حدته المعهودة:

- كل حاجة في الحادثة بتشاور عليها.. القرد بتاع شنطتها اللي لقوه، وشهادة محروس اللي شاف واحدة بنفس أوصافها نازلة من المكتب، هتكون مين غيرها يعني؟

- تكون أي واحدة يا ماما، لو دي أدلة بجد كان البوليس قبض عليها.

- هو فيه واحدة تخرج في معاد زي ده تروح السينما لوحدها؟ وبالصدفة في التجمع؟ وكمان ماعندهاش أي شهود ع الكلام ده؟ وماتنساش إن معاها أرقام الخزنة.

- هي قالت إنها ماتعرفهاش، أنا مش عارف إنتي ليه مصرة تتهميها، هي ماكانتش تعرف أصلا إنكم رافضين الجوازة، هتعمل كده ليه؟ هتستفيد إيه؟

- تنتقم لباباها.

- باباها؟ ايش حشر باباها؟

- مش هينفع أقول.

- يعني إيه يا ماما؟

- مش هاقدر يا أدهم، لطيف الله يرحمه كان محلّفني ماحكيش لحد.

- ماما أرجوكي.

- أخرج يا أدهم أنا عايزة أنام.

قالتها صافي ثم تمددت على فراشها مولية أدهم ظهرها وأطفأت النور معلنة نهاية الكلام.

*

فوجئ الأستاذ كامل المصطفى بصوت الجرس يرنّ متصلا، فتح الباب ليجد أدهم أمامه يقطر ماء المطر.

- إيه يابني اللي خرجك ف الجو ده؟ اتفضل أدخل.

لم يدخل أدهم وإنما قال لاهثا:

- أنا عايز أتجوز أبرار.

- إيه؟

- بحبها وماقدرش أعيش من غيرها، ومافيش أي حاجة تقدر تفرق بيننا.

قاطعه صوت أبرار:

- لا فيه.

نظر أدهم فوجدها واقفة على باب غرفتها.

توقّف به الزمن ولم يعد يسمع سوى دقّات قلبه الذي رقص حينما بصر الحبيبة. لم ينتبه للقسوة البادية في عينيها ولا الحزن المرتسم على محياها.

احترم الأستاذ كامل صمتهما للحظات ثم تنحنح قائلا:

- اتفضل اقعد يابني مش هنتكلم على الباب.

- يتفضل إيه يا بابا؟ مافيش حاجة تتقال.

- اصبري يا أبرار، اتفضل يابني.

دخل أدهم وجلس دون أن يرفع عينيه عن محبوبته التي لفّت حجابها حول وجهها كيفما اتفق، وارتدت ملابس رياضية مريحة، أظهرت منها جانبا عفويا لم يكن قد رآه منها من قبل.

- جاي ليه يا أدهم؟ عايز تتجوزني من غير موافقة أهلك؟ عايز تتجوزني ومامتك مقتنعة إني قتلت باباك؟

بُوغت أدهم بكلامها فتدخل والدها قائلا:

- شوف يابني، أنت لا غبار عليك، ولو في ظروف تانية وأبرار اختارتك كنت هاوافق على طول، لكن دلوقتي، وحتى لو أبرار وافقت، أنا لا يمكن أوافق.

نظر أدهم إليه غير مصدق، فأطرق الأب برأسه وهو يقول:

- مدام صافي لسه قافلة معايا.

وقعت العبارة على أدهم كالطامة الكبرى فأكمل كامل في سرعة:

- كان قلبها حاسس إنك جاي على هنا.

نظر إليه أدهم بيأس وحاول الكلام فأسكتته أبرار بقولها:

- أدهم، من فضلك امشي وماترجعش هنا تاني، إحنا مش لبعض.. أنت مالكش مكان هنا.

قالت قولها ودخلت غرفتها وأغلقت الباب.

ظلّ أدهم محدقا في باب غرفتها الأبيض، وخُيّل إليه أن أحلامه كلها اختلطت ببعضها وذابت لتتحول إلى لا شيء، صفحة بيضاء شاغرة.

تنحنح الأستاذ كامل، فاستفاق أدهم من أفكاره مُحرجا ورحل.

***

-20-

ثلاثة عشر اسما

أغلق أدهم باب سيارته وأدارها، فصدح صوت منير:

«خلاص حبيبتي بقينا لبعض».

اغتاظ أدهم وضرب المقود بيده، فانطلق صوت بوق السيارة عاليا واجتذب شحاذة عجوز ظنّت أن أدهم يناديها. اقتربت الشحاذة ونقرت نافذة السيارة:

- أيّ حاجة يا بيه.

بحث أدهم في السيارة عن فكّة فلم يجد، مد يده في جيبه فأخرج أول ورقة صادفته فإذ بها ورقة من فئة المئة جنيه فأعطاها لها.

- ربنا يرزقك ببنت الحلال اللي تسعد قلبك يا بيه.

وخزت عبارة الشحاذة قلبه فتمنى أن تكون أبواب السماء مفتوحة. انطلق بالسيارة صوب منطقة الحلمية حيث تقطن عمّته.. كانت قد طلبت منه المرور عليها وأبت أن تخبره أي تفاصيل عن سبب الزيارة حتى تراه. لم يكن يريد أن يخرج، أراد أن يبقى منعزلا عن الجميع قابعا في ظلام غرفته ذات الستائر المسدلة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، ولكنه لم يستطع رفض طلب عمته العزيزة. وهكذا وصل أدهم في موعده وانتظر أمام مدخل العمارة. ظهرت عمّته بعد عدة دقائق مقبلة نحوه وهي تحمل عدة ملفّات ورقية

ضخمة.

- إيه ده يا عمتو؟

- ده اللي هيحل مشاكلك ويكشف القاتل ويرجعلك أبرار.

أثار ذلك الوعد السحري فضول أدهم وذكّره بإعلانات خديجة المغربية على القنوات الفضائية المجهولة والتي تعد بجلب الحبيب ورد المطلقة فنظر لعمته بانتظار أن تفسر له، ولكنها وضعت الملفات على أريكة السيارة الخلفية واكتفت بقولها:

- يلا بينا.. نتكلم بعد الأكل.

انطلق أدهم بالسيارة نحو مطعم عمّته المفضل بالحسين، تناولا قدرا لا بأس به من المشويات المحبّبة إلى قلبها، دون أية إشارة نحو الملفّات. وانتقلا بعدها للجلوس في ركن هادئ بمقهى مغمور في شارع المعز. حينها طلبت منه عمته إحضار الملفات ووضعها أمامهما على المنضدة ذات الأرجل المتراقصة.

- شوف يا حبيبي، دي ملفات قضية أبوك الله يرحمه.

تعجّب أدهم ورفع أحد الملفات يفرّ فيه غير مصدق ليجده بالفعل مليئا بالتفاصيل وأقوال الشهود.

- مش معقول! جبتيهم منين؟

- بص يا أدهم، اللي أوله شرط آخره نور، أنا ماحبش الأسئلة الكتير، أنت تقول حاضر وبس. هاجاوبك المرة دي، على شرط ماتسألش تاني.

- حاضر.

- الملفّات دي جبهالي سيادة المستشار زكي عابدين زميلي من أيام ثانوي.

لم يستطع أدهم كبح ابتسامته وهو يتخيل عمّته أيام ثانوي مع زميلها سيادة المستشار.

- وبعدين يا ولد.. الحق عليا قلت أساعدك؟ بص، هو جابلي نسخة من ملفّات القضية، طبعا مش المفروض الملفات دي تطلع بره، ماتبصليش كده، مافيش حاجة تقف قدام عمتك. المهم.. هو وضّحلي كام نقطة كده عايزين نفكر فيهم سوا.

منح أدهم عمّته نظرة إعزاز، كيف كان يريد الانعزال ولديه منبع حب صافٍ كنادرة؟!

- سرحت ف إيه؟ ركّز معايا، وطلّع ورقة وقلم علشان نكتب.

- مش معايا.

- يادي الخيبة، يلا نقوم يا أدهم.

- اصبري يا عمتو ميبقاش خلقك ضيق، هاكتب ع الموبايل.

نظرت له عمته باستنكار وهو يفتح هاتفه استعدادا للكتابة فسألها:

- أكتب إيه؟

- الأمر لله.. اكتب أسامي كل الناس اللي ليهم علاقة بالقضية، وهنمسك واحد واحد ندرس موقفه.

أمّن أدهم برأسه، وكتب الأسماء ثم مد الهاتف إلى عمته كي تلقي نظرة على القائمة. طقطقت نادرة بلسانها وقالت:

- أنت مش كاتب اسم سيف.

- سيف كان في إسكندرية يومها.

- مش يمكن كذاب؟ اسمه يتكتب.

- حاضر.

- ولا كاتب الحاج مهدي! إيه ده؟ ولا أختك ولا مامتك.

- حتى دول أكتبهم؟ مستحيل يا عمتو.

- شكلك هتتعبني.. قوم روّح يا أدهم.

- استني بس.. ماما إيه اللي اكتب اسمها!

توقّع أدهم أن تهتاج عمته وتغضب لاعتراضه ولكن شفتيها افترتا عن ابتسامة مفاجئة.

- عارف بتفكرني بمين؟

أيا كان الاسم الذي خطر على بال أدهم، كان أبعد ما يكون عمّن ذكرته عمته،

- سيدنا موسى.

- أفندم!

- أيوة سيدنا موسى.. كان خلقه ضيق زيك كده مش عارف يصبر مع سيدنا الخضر، كل شوية يقوله حاضر وبعدين مايقدرش يمسك

نفسه. وعلشان كده، هو أكتر نبي بحبه، علشان شبهي، مش عارفة لو كان ربنا اختار لنا الأنبياء ملايكة مش بشر كنت هاتعلم منهم إزاي.. سبحانك يا رب.

فتح أدهم فمه ليعلق ولكنها عادت سريعا لجذيتها قائلة:

- المهم.. هتكتب كله يا ولد ولا أقوم؟

- حاضر يا عمتو.. أهو كتبتهم، ها بقى؟

طلبت منه عمته أن يكتب أمام كل شخص حجة غيابه بالتوقيت، وأن يضع علامة مميزة أمام أسماء الذين ليس لديهم شهود. فعل كما طلبت فاكتشف أنه لم يضع علامة سوى أمام اسمين لا ثالث لهما:

حسام، و...

أبرار!

*

انقبض قلب أدهم وهو يرى الحقيقة الساطعة: اسم حبيبته يتصدر قائمة المتهمين.

- وريني يا أدهم.

مد أدهم هاتفه لنادرة فقرأت:

وقت وقوع الجريمة حسب تقرير الشرطة: 7:30 – 10:30.

• أبرار: معايا لحد 8:30 – في السينما لوحدها من 9:00-11:30.

• حسام: في بيتنا لحد 8:00 - زار بابا من 8:15-8:30 - لوحده

لحد 9:30 – وفي الكافيه من 10:00 – 12:00.

• رنا: في ميتنج من الصبح لحد 11:00 بالليل.

• سيف: في إسكندرية – تحرك من القاهرة 7:00 ووصل 10:00 بالليل.

• الحاج مهدي: في بيتنا من 6:30 لحد 11:00 تقريبا.

• شيري: في بيتنا طول اليوم.

• ماما: في بيتنا طول اليوم.

• سامح: على القهوة من 7:00- 11:00.

• مايسة: في البيت من 6:00.

• عشري: تحت المكتب حتى 8:00 – زيارة للحاج 8:30 – وصول البيت 11:00.

• الأستاذ عبد الله: من 7:30 -9:30 على القهوة – والساعة 10:45 كان فى بيتنا.

• عمر: في بيته من 7:00.

• محروس: في مدخل الشركة من 8:00 صباحا لحد 12:00 مساء.

ضمّت القائمة ثلاثة عشر اسما، نظرت فيها عمته ثم طلبت إضافة الاسم الرابع عشر: شخص مجهول!

سألها أدهم عمّن قد يكون، فأجابته أنه بالتأكيد يوجد الكثير من

الاحتمالات الأخرى، قد يكون أحد موظفي فرع الشركة بالعباسية، أو حتى شخص غريب استهدف السرقة.

- شخص غريب هيدخل إزاي ومحروس قاعد؟

- دي نقطة مهمة يا أدهم، إحنا عايزين نتكلم مع محروس تاني، هو قال إنه قام مرة واحدة راح الحمام على 9:30 تقريبا، معقولة ما قامش تاني؟ وبعدين الكل أجمع إنه بيلعب ع الموبيل أغلب الوقت، يمكن حد طلع من غير ما ياخد باله.

- متهيألي دي صعبة، علشان لازم يعدي من قدام مكتبه بالظبط في الدخول والخروج.

- أنا هاتكلم معاه بنفسي. المهم كنت عايزة أبلغلك ملاحظات سيادة المستشار. هو بيقول إن رجال البحث الجنائي شايفين جرح الرصاصة غريب، كإن اللي قتل مش عارف ينشن كويس، أو مش عارف يمسك المسدس.

- وده معناه إيه؟

- هو نفسه محتار، بيقول كإن اللي كان ماسك المسدس حد إيده مش ثابتة، طفل مثلا أو ست ضعيفة.

- مافيش أطفال في الموضوع خالص، مافيش كده غير احتمال واحدة ست!

أطرق أدهم برأسه محبطا وقد شعر أن كل الأدلة تشير إلى حيث لا يريد.

- أدهم الطريق لسه طويل.

- طويل إيه بس يا عمتو، كل اللي كتبناه بيأكد شكوك ماما أكتر.

- يا حبيبي لسه ماكتبناش الدوافع. ولا حتى اتأكدنا من كلام الشهود، لعلمك هتلاقي تلت تربع اللي في اللستة دول كدبوا مرة ولا اتنين.

- يعني إيه؟

- يعني ده كلامهم، وإحنا لسه هنحقق وراه، خد عندك سيف مثلا، مش محروس قال إنه شافه ليلة الحادثة؟

- أيوة بس هو عنده شهود كتير في إسكندرية.

- وعنده فلوس كتير برضه، وماعندوش ضمير. ممكن يكون اشترى شهود.

ظهرت ملامح الاستغراب على وجه أدهم بينما تابعت نادرة:

- ورنا.. الفندق جنب الشركة، مافيش ميتنج يقعد اليوم كله من غير بريك، حتى ولو نص ساعة، تلحق تروح وتقتل وترجع، يعني أبرار مش الست الوحيدة.

- ورنا تعمل كده ليه؟

- مش قلتلك لسه ماكتبناش الدوافع؟ وبعدين عمر، معاه أرقام الخزنة، ممكن يكون نزل من البيت وأهله بيكدبوا ومداريين عليه ولا حتى ناموا بدري وماحسوش بيه وهو نازل.

دار رأس أدهم مع كثرة التفاصيل، ولكن بعد برهة.. ارتسمت ببطء

ابتسامة أمل على شفتيه.

- يلا نكتب الدوافع يا عمتو.

- استنى أما أقولك على الحاجة التانية اللي حيرت زكي: موضوع الخبطة مع الرصاصة ده يحير، ليه الجاني خبط الحاج لما كان ممكن يضربه بالرصاص على طول! زاوية ومكان الجثة بتقول إنه اتخبط على راسه من وراه، يعني الحاج كان مدي الجاني ضهره، وبعدين اتضرب بالرصاص وهو واقع على الأرض.

تجعّد وجه أدهم من الألم وهو يتخيّل المشهد فأردفت عمته:

- معلش يا حبيبي، عارفة إن التفاصيل توجع، بس لازم نستحملها علشان نوصل للقاتل وياخد جزاءه.

- يعني إنتي مقتنعة ببراءة أبرار يا عمتو؟

- طبعا يا حبيبي، نظرتي في الناس ماتخيبش أبدا، أبرار بنت مستقيمة لا يمكن تعمل كده، لكن رأيي لوحده مش كفاية، لازم نلاقي القاتل، وبالدليل.

- طب يلا نكتب الدوافع.

- لا كفاية كده يا أدهم، أنا صدعت. بكرة.. تعالى بكرة.

- خلاص هابعتلك الليستة ع الوتساب تمخمخي في الدوافع لحد ما نتقابل بكرة إن شاء الله، على الغدا برضه؟

- أومّال! حد يلاقي دلع ولا يتدلعش!

- خلاص اتفقنا يا عمتو.. ادعيلي.

- دايما بادعيلك يا حبيبي، أنت لك فقرة دعاء ثابتة في صلاة الفجر يوماتي.

- زوديلي عليها إن ربنا يوفّقني في المنحة.

- منحة إيه؟

- مقدم على منحة أدرس ميكانيكا سيارات في ألمانيا، تبع السفارة الألمانية.. ادعيلي قوى.

- هادعيلك يا حبيبي والمنحة هتكون من نصيبك بإذن الله.

***

-21-

الخزانـة تبوح

أرجع اللواء يحيى ظهره في مقعده وهو يسأل المقدم أحمد الجالس أمامه:

- ها يا سيادة المقدم؟ وصلنا لإيه؟

- لا جديد.. كلها شكوك لكن ماعندناش دليل واحد حتى الآن.

- والبحث الجنائي؟ ماعندوش حاجة يساعدنا بيها؟

- مشهد الجريمة ماكانش فيه بصمات تقريبا غير بصمات القتيل وعشري وأبرار.

- بخصوص أبرار.. شهادة موظف الأمن إنه شاف واحدة محجبة خارجة من المبنى، ووجودها في منطقة التجمع وقت ارتكاب الجريمة بدون شهود.

- محروس ماتعرفش عليها بالتحديد، والليلة كانت ممطرة ومظلمة، ده لا يعتبر دليل.

- نخوّرت وراها؟ لو عندها دافع نركز عليها أكتر.

- نخورت ومافيش حاجة إلا إذا...

- إيه؟

- إلا إذا كانت هي اللي ورا موضوع الاختلاس، ولما حست إنها هتتكشف خلّصت عليه.

- صعب، دي لسه موظفة جديدة مابقالهاش كام شهر، وبعدين الخبطة محتاجة حد قوي بدنيًا.

- وطويل.. وهي طويلة، وملاحظة البحث الجنائي بخصوص جرح الرصاصة، إن الجاني ماكانش ماسك المسدس بتمكّن بترجح إن الجاني ست.

- مش عايز ترجيحات، أنا عايز الجاني يا أحمد.

- ماتقلقش يافندم، إحنا شغالين، وحاطينهم تحت عينينا.

- مافيش احتمال إن الجاني ممكن يكون واحد غريب؟ مش من المجموعة اللي أنت عارفها؟

- صعب يا افندم، المجني عليه اتخبط وهو مدي ضهره للجاني، يعني كان عارفه وواثق فيه.

- تحليل سليم، لكن الموضوع طوّل يا أحمد.

- عارف، بس مصير المجرم يفقد حذره، ويعمل غلطة وساعتها.. هنكون له بالمرصاد.

- من إمتى بنستنى أخطاء المجرم علشان نتحرك؟ راجع تاني أقوال الشهود يمكن تلاقي حاجة.

- تمام يا افندم.

*

جلست أبرار مع أبيها في كافيتريا المركز الطبي للعظام يرتشفان

معا القهوة الساخنة. عانى الأستاذ كامل آلاما مزمنة بالركبة، والتي تزايدت في الفترة الأخيرة مع تدهور صحته العامة إزاء حالة ابنته النفسية السيئة. لم تحاول أبرار البحث عن عمل جديد، بل ورفضت كل محاولات أبيها وعمتها لإخراجها من حالتها. وحدها مها التي كانت تستطيع التفاهم معها عند زيارتها من حين لآخر، ولكن مع ذلك كان وجه أبرار يزداد شحوبا وجسدها يزداد نحولا.

وبرغم اكتئابها وعزلتها، لاحظت أبرار حركة أبيها التي تباطأت، وصوت طقطقة ركبتيه الذي بات واضحا ومتكررا، فأصرّت عليه أن يلتزم بجلسات العلاج الطبيعي التي قررها له الطبيب سابقا.

وأصرّ هو أن تصطحبه هي إلى تلك الجلسات، أملا منه أن تكون فرصة لها للخروج من البيت وتغيير الأجواء. وكانت هذه الجلسة الثالثة، وقد نجح أخيرا أن يقنعها بالجلوس في الكافيتريا قليلا بعد الجلسة.

- مساء الخير، أنتم لسه هنا؟

أدار الأستاذ كامل رأسه ليجد الدكتور طارق، الطبيب الذي يباشر حالته، وهو يحمل بيديه كوبا ورقيا من القهوة وطبقا عليه قطعتا كرواسون.

رحّب به الأستاذ كامل وعرض عليه مشاركتهما المنضدة لازدحام المكان. وكأنما كان الطبيب ينتظر تلك الدعوة، وضع كوبه وطبقه على المنضدة وسحب كرسيا وجلس وهو يبتسم إلى أبرار.

استغربت أبرار استجابته للدعوة ولكنها لم تعقّب، بل ظلت ترتشف

قهوتها في شرود.

- ولا حضرتك رأيك إيه؟

انتبهت أبرار لأبيها والطبيب ينظران نحوها فلم تفهم ففسر لها والدها:

- دكتور طارق بيسألك عن رأيك في القهوة.

نظرت إليهما أبرار وقالت في سأم:

- رأيي في القهوة؟ كويسة.. عن إذنكم.

قالتها أبرار وقامت باتجاه دورات المياه، لم تكن مستعدة لتجاذب أطراف حديث شعرت أنه سيكون تافها وسمجا، ألم يكفِه أنه اقتحم جلستهما بوجوده كي يقتحمها بأسئلته التي لا معنى لها؟!

*

ارتدى أدهم ملابسه استعدادا للقاء عمته. نظر في ساعته فوجد أن لديه وقتا فائضا قبل الموعد فقرر أن يذهب إلى الشركة ليزور مكتب والده، كانت هذه الرغبة تتنازعه من فترة فيصرفها ولكنه استجاب لها اليوم.

انقبض قلب أدهم مع دخوله من الباب الخارجي، تجاهل مشاعره وتوجّه إلى مكتب والده، لاحظ أن مكتب أبرار لا يزال شاغرا، فاتجه نحو الباب الخشبي لمكتب والده وفتحه ليتفاجأ بعمر جالسا على كرسيّ أبيه يتحدث في الهاتف.

ارتبك عمر لمرأى أدهم فأغلق السماعة ودار حول المكتب مرحبا

بأدهم. ابتسم أدهم ابتسامة فاترة وقال:

- جيت أزور مكتب بابا.

- أهلا بيك يا أدهم في أي وقت، كنت باعمل كام مكالمة في هدوء وخارج على طول.

- خليك براحتك يا عمر.

رن الهاتف مجددا، فرد عمر ثم وضع كفه على السماعة قائلا لأدهم:

- ده الأستاذ عبد الله.

لم يهتم أدهم، ولم يدر لِمَ كلّف عمر نفسه عناء توضيح المتصل! ظلّ يتأمل أرجاء المكتب متذكّرا صوت والده وسكناته.

- حاضر حاضر، هابص عليه في الخزنة.

قالها عمر وأعطى ظهره لأدهم متوجها نحو الخزانة الموجودة في الحائط وفتحها وأخذ يقلب في أوراقها. اتّسعت عينا أدهم فجأة وتسارعت أنفاسه وهو يراقب عمر، ثم هب واقفا ورحل دونما سلام!

*

طرق أدهم باب عمته وهو يلهث. تفاجأت به.

- إيه اللي طلّعك؟ مارنتليش ليه؟

- ماقدرتش أستنى.. أنا فهمت كل حاجة، تعالي ندخل.

جلس أدهم مع عمّته وسط الغلالة الضبابية المعهودة لبيت الحلمية وانطلق قائلا:

- أنا فهمت ملاحظة سيادة المستشار.

- بتاعة المسدس؟

- لا بتاعة الخبطة. أنا عرفت سبب الخبطة. المسدس.

نظرت إليه عمته بعدم فهم فأوضح:

- مسدس بابا كان في الخزنة المقفولة. إحنا افترضنا إن اللي قتله يعرف أرقام الخزنة وده حصرنا في عدد محدود من الناس.. لكن فيه احتمال تاني.. إن بابا هو اللي يكون فتحها بنفسه لسبب ما.. وكان وقتها مدي ضهره للقاتل لأنه يعرفه ومآمن له. القاتل شاف المسدس فخبط بابا، بابا وقع وراسه اتخبطت في سن الترابيزة، القاتل خد المسدس من الخزنة وقتل بابا وهو على الأرض ورمى المسدس جنبه وهرب.

أنصتت نادرة لابن أخيها.. ولم تعقّب حين انتهى.

- إيه يا عمتو؟

- بافكر يا أدهم.. بافكر.

طال صمتها حتى كاد يودي بصبر أدهم كله ثم نطقت في النهاية قائلة:

- عندك حق يا أدهم، كلامك معناه إن أي حد ممكن يكون زار باباك، ولما الخزنة اتفتحت أخد المسدس منها.. بس البصمات! إزاي مالقوش بصمات؟

- ممكن يكون القاتل مسحها.

- تعالى نكتب الدوافع يمكن نوصل لحاجة.

أخرج أدهم هاتفه وفتح قائمة الأسماء، قالت عمته:

- نبدأ بأبرار، تفتكر ممكن تكون إيه دوافعها؟

- مافيش طبعا.

- أدهم، أنا مش باسألك رأيك.. لازم نفكر زي البوليس، ممكن يكون علشان تتجوزك مثلا؟

- هي ماكانتش تعرف إن أهلي رافضين.

- إممم.. مش عايزين ننسى الاختلاس.

- لا كده وسعت منك يا عمتو، أبرار ماكانش تحت إيدها حاجة أصلا تختلس منها.

- ممكن تكون بتغطي على المختلس؟ مش هي وعمر كانوا زملا؟ أنا لاحظت يوم عيد ميلاد شيري إنهم كانوا داخلين مع بعض، وواخدين على بعض ف الكلام.

تصلب فك أدهم فتجاهلته واستمرت:

- اكتب يلا قدام اسمها: الاختلاس – الزواج.

أطاع أدهم عمته متضررا، بينما أردفت:

- حسام بقى، موضوع الشيك ده غريب قوي، لو خد الشيك يبقى هيقتل لطيف ليه؟ وهو خد الشيك ليه أصلا؟ تفتكر كان بيبتز باباك بحاجة؟

اتسعت عينا أدهم إزاء ما اعتبره شطحة خيال.

- يبتزه ليه؟ بابا طول عمره مستقيم.

- يمكن حاجة مانعرفهاش، أصل مش معقولة عشرين مليون جنيه علشان يفضل مع شيري.

- بابا كان بيحب شيري قوي.

- بس ده مش أسلوبه يا أدهم. مش أبوك اللي يشتري الناس بالفلوس. يكونش حسام هو المختلس؟

- طب بابا هيكتبله الشيك ليه؟

زفرت عمته محتارة، ثم أملت على أدهم ما يكتبه أمام حسام وانتقلت بعده إلى رنا.

- اكتب توكيل الملابس الرياضية.. أنا سمعتهم يوم عيد الميلاد ورنا بنت طموحة.

ظلا قرابة الساعتين يضيفان الدوافع ويعدلانها حتى اكتملت القائمة.

- ابعتهالي ع الوتساب وروّح أنت دلوقت.

- حاضر.. بس مش هنتغدى؟

- لا.. محتاجة أفكر لوحدي. هاكلمك أنا ماتكلمنيش.

همّ أدهم بإرسال القائمة إليها ثم هتف فجأة:

- إيه الغباء ده؟!

ضيقت عمته عينيها محاولة استيعاب تعليقه.

- شفتي عملت إيه؟ بعتها لماما بدالك.

- مش مهم.. امشي دلوقت يلا، عايزة أفكر.

قالتها نادرة وهي تكاد تدفعه دفعا نحو الباب حتى خرج فأُغلقته، ثم أُسدلت جفونها، وهامت بعيدا.

*

- أدهم.. تعالى هنا فورا.

سمع أدهم صراخ والدته قادما منذ أن رأت عيناه علامتي الصح الزرقاء اللتين ظهرتا بجوار القائمة المرسلة لها بالخطأ على تطبيق التواصل الاجتماعي الشهير. أخذ نفسا عميقا ثم توجه إليها.

لم يجدها غاضبة كما توقع ولكن لدهشته وجدها ممتقعة، تذرع أرض غرفتها جيئة وذهابا.

- خير يا ماما؟

- أنا شفت اللي أنت بعتهولي.. أنت مش فاهم حاجة أبدا.

- بعتهولك بالغلط يا ماما. آسف.. أنا لا يمكن أشك فيكي مهما حصل. أنا...

قاطعته والدته كأنها لا تسمعه:

- بخصوص أبرار. اكتب ف الدافع: الانتقام.

رفع أدهم زاوية فمه اليسرى إلى أعلى حتى كادت تلمس طرف

عينه.

همست في خفوت:

- سامحني يا لطيف.. مضطرة أتكلم.

لاحظ أدهم أصابعها التي أخذت تتقلص وتنفرد على طرف ردائها.

- شوف يا أدهم.. أنت كنت عايز تعرف ليه لا يمكن أوافق على أبرار، وليه متأكدة إن هى اللى قتلت باباك. أنا هاريحك وأقولك على السر اللي وعدت باباك إني ماقولوش.

تسارعت دقات قلب أدهم وأصاخ السمع لمعرفة السر الخفي.

***

-22-

بل كانت تطفو

تكلمت صافي بارتباك واضح قائلة:

- فاكر جارهم بتاع الحلمية اللي كان بيحب عمتك نادرة زمان؟

- أيوة؟

أجابها بنبرة متسائلة وهو لا يرى الرابط.

- كان صاحب باباك.

- إيه العلاقة؟

- يبقى بابا صاحبتك، فهمت؟

سحب أدهم كرسيا وجلس محاولا فهم ما ترمي إليه والدته، زفرت صافي قائلة في نفاد صبر:

- يعنى أبو أبرار، يبقى هو جار عمتك نادرة اللى كانت بتحبه وعايزة تتجوزه.

- أيوة!

- اللي هاقولهولك ده، عمتك نادرة نفسها ماتعرفوش.. كنا وقتها أنا وباباك مخطوبين وفي يوم كان المفروض نخرج سوا اتأخر عليا جدا، ولما وصل كان وشه أحمر وباين عليه الغضب، ألحيت عليه أعرف السبب، حكالي، ولما هدي حلفني ماجيبش سيرة لحد، وأنا طاوعته، وعدت السنين، ونسيت الموضوع، لحد ما أبرار دي ظهرت،

وأنت طلبت تتجوزها، وساعتها افتكرت مع باباك كل اللي حصل زمان.

- اللي هو إيه يا ماما؟

- كامل ونادرة كانوا بيحبوا بعض، وقتها باباك كان صاحب كامل وعارف الحكاية، بس كان متردد. كان عارف إن كامل كويس ومحترم لكن في نفس الوقت ماعندوش طموح ولا قدرة على المخاطرة يعني هيفضل طول عمره موظف، وفي نفس الوقت كان عارف طريقة تفكير جدك وشروطه في عريس نادرة. ف يوم كامل طلب يقابل جدك، وباباك كان حاضر، كامل طلب إيد نادرة، جدك ثار عليه وشتمه وهزقه.. و.. و.. ضربه بالقلم على وشه قدام باباك.

اتسعت عينا أدهم بينما أكملت صافي:

- ومش بس كده، جدك هدد كامل يبهدل أبوه ويطردهم من المنطقة ويشرد إخواته لو مابعدش عن نادرة. باباك ماقدرش يتدخل، كامل ساعتها قالهم إنه هيبعد عن نادرة، بس عمره ما هينسى اللي حصل، وإنه هينتقم لكرامته مهما طال الزمن.

صمت أدهم يحاول استيعاب ما سمع ثم سألها:

- وده إيه علاقته بأبرار؟

- إيه يا أدهم! أكيد كامل ده حكى لبنته ورباها على كرهنا، أكيد كانت عايزة تنتقم لباباها اللي اتضرب بالقلم من جدك واتهان قدام باباك، جدك وخلاص مات، هتنتقم من مين غير من لطيف؟

- إيه اللي بتقوليه ده يا ماما؟ مستحيل.

- مش مستحيل، روح اسأل عمتك نادرة، هتقولك إنه أبو أبرار هو حبيبها القديم، وانه اختفى فعلا من حياتها. هي ماتعرفش اللي حصل، ولطيف ساعتها حلفني ماجبش سيرة، علشان هو عارفها عندية، لو عرفت إن كامل اتقدم وإنهم رفضوه هتتمسك بيه وماحدش هيقدر عليها.

وقف أدهم وسحب سترته ومفاتيح السيارة وانطلق وصوت والدته يلاحقه:

- أدهم.. أدهم.. رايح فين؟ الوقت متأخر والجو تلج.

*

في تكرار لمشهد لم تكاد تمر عليه بضع ساعات، وقف أدهم يطرق باب عمته لاهثا، ولكن هذه المرة استغرقها الأمر دهرا حتى فتحت الباب، كانت تدعك عينيها وتتثاءب، بيد أن نظرة واحدة منها لوجه أدهم أطارت النوم من عينيها.

- أدهم، فيه إيه؟ حد جراله حاجة؟

تهاوى أدهم على أول مقعد وحكى لها ما سمعه من والدته مختتما كلامه يسألها:

- الكلام ده حقيقي؟

لم يسمع لها ردا، فرفع عينيه إليها.

وجد الدموع تترقرق في مقلتيها قبل أن تسيل على وجنتيها، بينما شردت نظرتها وتعلقت في الهواء.

- عمتو.

- يعني كامل ما سابنيش؟

تأثر أدهم لعبارة عمته المرهفة. لم يكن قد فكّر في كلام والدته من هذه الزاوية، كل ما احتل فكره هو موقف حبيبته من مقتل أبيه.

قامت عمته بشكل آلي فسحبت طرحتها من على ظهر الأريكة ولفتها على رأسها دونما أن تجفف دموعها، كأنما جريانها هو ما يثبت لها أن ما سمعته لم يكن حلما، كذاك الحلم الذي لازمها أعواما طويلة تغزل منه الأمل.

- يلا يا أدهم.. وصلني.

- على فين يا عمتو؟ الساعة عدت 12.

- ودِيني قهوة الحبايب اللي ورانا بكام شارع. هاقابل الحاج فتحي. كان صاحب باباك وصاحب كامل، لو حاجة زي كده حصلت، هو هيبقى عارف.

أسرعت نادرة نحو الباب ففتحته وخرجت يتبعها أدهم وقد أدرك أن حالتها أسوأ منه بكثير.

*

أوقف أدهم سيارته أمام القهوة، التي لم تكن قهوة بالمعنى المألوف.. أو ربما أضحى هذا هو المعنى المألوف للقهوة!

دكان صغير لا تزيد مساحته عن عدة أمتار، وقد تراصت أمامه العديد من الموائد الحديدية الصغيرة تراقصت عليها الأكواب.

امتدت تلك الموائد على الرصيف الذي لم يكن كافيا لها فتكاثرت في نهر الطريق.

عجّت القهوة بكراسي مختلفة الألوان والأحجام جلس عليها ذكور من جميع الأعمار، فبدا المشهد وكأن كل رجل من سكان الشارع والشوارع المجاورة قد قرر فجأة اصطحاب كرسيه المفضل، والنزول من بيته، والجلوس على قارعة الطريق، لينتهي بهم الأمر وقد افترشوا الأسفلت، والتحفوا بالعوادم!

انتبه أدهم على عمته وهي تفتح باب السيارة، أراد أن يسأل عن الحاج فتحي أولا ويستأذنه في الحضور لعمته ولكنها لم تأبه لكلامه. ترجّلت من السيارة واتجهت نحو الرجل الذي تعرفه جيدا.

تابعهما أدهم بنظراته من بعيد يحاول بصعوبة فك شفرة الحديث وسط ضوضاء خبطات النرد وصيحات رواد القهوة من الشباب والكهول، بينما ارتعشت أرنبة أنفه لرائحة القهوة التركي المحوّجة الممزوجة بروائح الشيشة.

لاحظ أدهم تبدل ملامح وجه الحاج فتحي من الحيرة إلى أمارات التذكر ثم الإحراج ثم الارتياح وهو يخرج الحقيقة من جوفه بعد سنوات الكتمان. أيقن أدهم أن ما قالته والدته قد حدث وهو يراقب عمته التي ألقت بجسدها على مقعد خشبي متهالك وأخفت وجهها بين كفيها. تأملها أدهم وقد شعر بتضاؤل حبه وعذاباته أمام دموع وشجون عمرها أكبر من عمره.

هدأت الذكريات عن عمته أخيرا ففتحت كفيها عن وجهها كضلفتي نافذة ليشرق من خلفهما النور. لمعت عيناها بتصميم لم يره من قبل

ونادته بصوت عميق ملتهب النبرات:

- أدهم، يلا بينا.

أوصلها أدهم إلى منزلها وأوقف السيارة وهمّ بأن يعقّب على ما حدث فوضعت إصبعها برفق على شفتيه وابتعدت.. راقبها وهي تتجه نحو المدخل.

لم تكن تمشي. كانت تطفو!

***

-23-

ما أُغنى عني ماليه

أنصتت أبرار إلى أبيها حائرة إزاء مراده وهو يلف ويدور بكلمات وحكايات لا رابط بينها حتى أشفقت عليه عمتها الجالسة معهما فأخذت منه دفة الحوار وأخبرت أبرار دون مواربة:

- الدكتور طارق معجب بيكي وفاتح باباكي في الموضوع.

ظهر الامتعاض سريعا على وجه أبرار، فتطلّع أبوها إلى أخته طالبا منها مزيدا من العون والتثبيت، فاستمرت قائلة:

- إيه يا أبرار، مش كفايانا دلع؟ موضوع أدهم وإنتي اللي قفلتيه بنفسك، شغل ومش عايزة تشتغلي.. حتى الجواز هنضرب عنه؟

لم تجد أبرار في نفسها لا القدرة ولا الرغبة في الكلام، نظرت إليهما في يأس ثم قامت فجذبتها عمتها من يدها قائلة في إصرار:

- رايحة فين؟ على الأقل ردي علينا. بصي باباكي بقى عامل إزاى من القلق عليكي، قولي هافكر، قولي هاشوف، اتعرفي عليه يا ستي وبعدين ارفضيه.. أي حاجة.

زمّت أبرار شفتيها عازمة ألا ترد ولكن نظرة منها إلى وجه أبيها الشاحب جعلتها تتراجع فأذعنت قائلة:

- حاضر. هافكر.

انفرجت أسارير عمّتها واحتضنتها قائلة:

- حبيبة عمتو.. خلاص يومين كده وهاكلمك أشوف إيه الأخبار.

ثم غمزت لأخيها وأردفت في ثقة:

- مش قلتلك يا كامل.. أبرار لا يمكن تزعلنا.

راقب كامل ابنته وهي تعود إلى حجرتها وقد تهدل كتفاها أكثر من ذي قبل، فزفر في يأس متمنيا أن يحظى بقليل من الثقة التي غمرت أخته.

*

تأمل أدهم قائمة المشتبه بهم يدرس حجج غيابهم ودوافعهم مجددا:

وقت وقوع الجريمة حسبما حددته الشرطة: 7:30 – 10:30.

• أبرار: معايا لحد 8:30 – في السينما من 9:00-11:30

o الدافع: الزواج – المال (اختلاس) – التستر على المختلس. الانتقام لأبيها!

• حسام: في بيتنا لحد 8:00 - زار بابا من 8:15-8:30 - لوحده لحد 9:30 – وفي الكافيه من 10:00 – 12:00.

o الدافع: المال! (الاختلاس – الابتزاز – الشيك!).

• رنا: في ميتنج من الصبح لحد 11:00 بالليل.

o الدافع: المال! التوكيل الرياضي!

• سيف: في إسكندرية – تحرك من القاهرة 7:00 ووصل 10:00

مساء.

o الدافع: المال! الاختلاس! الانتقام لطرده سابقا من الشركة!

• الحاج مهدي: في بيتنا من 6:30 لحد 11:00 تقريبا.

o الدافع: حماية مصالح أحد أبنائه! خلاف مجهول!

• شيري: في بيتنا طول اليوم.

o الدافع: مشكلة حسام! ورث!

• ماما: في بيتنا طول اليوم.

o الدافع: المال! خلاف مجهول!

• سامح: على القهوة من 7:00- 11:00.

o الدافع: المال!

• مايسة: في البيت من 6:00.

o الدافع: المال! الاختلاس!

• عشري: تحت المكتب حتى 8:00 – زيارة للحاج 8:30 – وصول البيت 11:00.

o الدافع: المال! اختفاء رزمة المال!

• الأستاذ عبد الله: من 7:30 -9:30 على القهوة في عين شمس – والساعة 10:45 كان في بيتنا.

o الدافع: المال! الاختلاس! الانتقام!

• عمر: في بيته من 7:00.

o الدافع: المال! الاختلاس!

• محروس: في مدخل الشركة من 8:00 صباحا لحد 12:00 بالليل.

o الدافع: المال! رشوة من آخر للقتل!

• شخص مجهول!

o الدافع: المال! الانتقام لسبب مجهول!

شعر أدهم بغصة لاسم حبيبته في أول القائمة، وبالخجل لاسم والدته وأخته في منتصفها، ولكنه استمر بإصرار. تفكّر في القائمة مرارا وتكرارا حتى اضطر للاعتراف بأن عمته على حق بخصوص «المال»، تلك الكلمة التي تكررت في دافع الجميع تقريبا.

المال كان دوما نقطة قوتهم كعائلة.. يفتح لهم الأبواب ويحقق لهم الأحلام ويأتي لهم بأسباب الحياة وملذاتها حتى أطراف أصابعهم. ولكن في هذه اللحظة شعر أدهم أن المال عدوه، سلبه أباه وسلب عمته حبها، وها هو يسلبه حبيبته. تذكّر حواره مع عمته حينما اعترض قائلا:

- هو إنتي ليه مصرة إن الفلوس هي السبب؟

- قل لي أنت اقتراحاتك.

- مش يمكن خصومة مانعرفهاش؟ حب قديم مثلا أو كرامة أو غيرة؟ اشمعنى الفلوس؟

- علشان أكتر حاجة كانت بتميز المرحوم هي الفلوس، وعلاقته بأغلب الناس اللي حواليه كانت قائمة على الفلوس. قل لي على علاقة واحدة مافيهاش فلوس.

عاد أدهم بناظريه إلى القائمة، كان يود لو اتّهم حسام بقتل أبيه، خاصة مع غموض مسألة الشيك، ولكنه أدرك أن هذا الاحتمال أضحى بعيدا بعد أن أدلى كل من محروس وعشري بأقوالهما الأخيرة: عشري صعد إلى أبيه بعد نزول حسام، وكان أبوه لا زال حيا.

أم أن...

اعتدل أدهم جالسا وقد واتته فكرة غريبة، هل قَتَل حسام أباه ونزل ثم صعد عشري فوجد جثته فسرق منها رزمة المال بأكملها، وبعدها اتفق مع حسام على أن يدفع عنه الشبهات ويشهد بحياة الحاج مقابل مزيد من المال؟

قرر التواصل مع المقدم أحمد لعلّ هذا الاحتمال غاب عنه.

ولكن ماذا عن الفتاة المحجبة التي رآها محروس؟ إذا كانت قد زارت الحاج كما زعم، وكان أبوه وقتها مقتولا، فهذا يعني أنها وجدت جثته، فلِمَ لم تبلّغ بما رأته؟ ومن هي أصلا؟ أتكون هي التي سرقت المال؟ أم تكون هي القاتلة؟

تأمّل القائمة مجددا وتساءل من أيضا تنطبق عليه المواصفات؟

دقّ قلبه سريعا حينما توقفت عيناه عند رقم 13.. كيف غاب عنهم!

ليس لديه شهود سوى كلمته، هل اختلق مسألة الحادث أو تعمّد أن

يرمي بنفسه أمام أي سيارة كي يصرف الشبهات عن نفسه؟ أيكون قد رأى عشري وهو يعد المال فوخز الطمع قلبه؟ هل حاول مع الحاج في سلفة أولا ثم حدث شجار أودى بحياة أبيه؟

ولكن أباه لم يكن من أولئك الذين يشتجرون بسهولة! زفر أدهم في يأس وقد ازدادت حيرته وتعقدت ظنونه.

***

-24-

بكرة.. لصاحب بكرة

مدت أبرار قدميها في الفراغ تتأمل الخضار الممتد من حولها بعد أن استجابت لرغبة مها صديقتها في الخروج من المنزل وقضاء يوم عطلتها الأسبوعية معها في حديقة الأسرة.

بدت الحديقة من حولهما شاسعة وقد غسلتها أمطار اليوم السابق فظهرت خضرتها لامعة زاهية. تناهت أصوات ضحكات الأطفال إلى أسماعهما ممتزجة بزقزقة العصافير وصوت خرير الماء في ترنيمة حياة أبدية استقبلت روحها رسالتها: «الدنيا لسه بخير».

ابتسمت أبرار، فالتقطت مها ابتسامتها قائلة:

- أخيرا يا أبرار، إحنا لازم ناخد سيلفي علشان الابتسامة الحلوة دي.

أصرت مها على اختيار كادر تظهر فيه البحيرة من ورائهما والنخيل الباسق من حولهما والتقطت عدة صور لهما قبل أن تستجمع شجاعتها وتسأل أبرار متحاشية النظر في عينيها:

- إيه موضوع الدكتور طارق ده؟

- إيه ده! إنتي عرفتي منين؟

- عايزة الصراحة؟ عمتك كلمتني.

- لا بقى ده تدخل مبالغ فيه، أنا هامشي.

- إنتي هتقفشي عليّا أنا؟ أنا ف صفك على فكرة.. ومش عاجبني كلامهم.

هذا كلامها أبرار قليلا فأردفت:

- أنا جايباكي هنا علشان نشوف حل.

تاهت عينا أبرار في الفراغ من حولها.

- أدهم وحشك مش كده؟

تجمّدت ملامح أبرار فاستمرت مها:

- أكيد مش هتخبي عليا، ومش معقولة الحب اللي كان بينكم مسحتيه بأستيكة، إنتي مش روبوت.

لانت ملامح أبرار ولم تستطع كتمان لواعج قلبها أكثر فاعترفت قائلة:

- لا مش روبوت.. وأيوة قلبي واجعني جدا وأدهم وحشني جدا جدا ومهما حاولت أكرّه نفسي فيه وأفكّر نفسي قد إيه هو طلع صغير وتافه وكداب بس برضه مش قادرة. وفي نفس الوقت هو يا مها ما سألش عني ولا مرة.

- هنستعبط؟ مش إنتي اللي طردتيه من بيتكم؟ ده الراجل جه لحد عندك يترجاكي.

- علشان مافيش أمل. كلنا عارفين إن مافيش أمل.

- مين كلنا دول؟ أنا شخصيا ماعرفش الغيب. لكن أعرف أمل وباموت فيها.. امشي ورا قلبك يا أبرار وسيبي بكرة لصاحب بكرة.

- يعني أعمل إيه؟

- مش بتقولي واحشك؟ روحي الشركة يا ستي علشان تشوفيه، اتحججي بأي حجة.. إنتي خلصتي استمارة 6؟

- لسه.

- خلاص بكرة الصبح تروحي تخلّصيها.

ابتسمت أبرار فقالت مها ضاحكة:

- ماينفعش نسيب استمارة 6 أكتر من كده لا تحمض!

ثم جذبت يد صديقتها قائلة:

- يلا بينا بقى على لعبة الشلالات.

*

- اصحى يا أدهم، الساعة بقت 12 الضهر.

دوت نبرة صافي الحادة في غرفة ابنها ويدها تمتد لفتح الستائر فغمر النور الأرجاء واقتحم في لزاجة جفون أدهم المغلقة.

- خير يا ماما؟

- عندنا ضيفة مستنياك تحت.

تساءل أدهم عن كنه تلك الضيفة، أتكون عمّته؟ ثم تسارعت أنفاسه وهو يتخيل زيارة مستحيلة من حبيبته.

- أصل أنا عزمت رنا على الغدا عندنا.

جزّ أدهم على أسنانه ثم أغمض عينيه وشد عليه الغطاء ليخفي به وجهه متمنيا أن يكون ما سمع ليس إلا كابوسا إضافيا لليلته لن يلبث أن ينقشع.

وكزته والدته بيدها وكزة خفيفة قائلة:

- قوم.. ما يصحش نسيبها تستنى.

اعتدل أدهم في فراشه ورمى الغطاء بعيدا وهو يقول في حنق:

- رنا يا ماما! ليه؟ ليه كده يا ماما؟ حرام عليكي، ده إنتي لو بتكرهيني مش هتعملي فيا كده.

لم يبدُ على صافي أنها تأثرت بأي مما قال.

- مافيش وقت للدلع يا أدهم، إحنا محتاجين نقرب العيلتين من بعض أكتر، أنت مش شايف حسام وعمايله، الشركات كلها بقت في إيديه، كتر خيره الحاج مهدي واقف جنبنا وشايل عننا كتير، بس لحد إمتى؟ حسام ممكن يسيب شيري ف أي وقت وساعتها الحاج مش هيقدر يمنعه؟ مافكرتش مصيرنا هيبقى إيه ساعتها؟

لم يستطع أدهم استيعاب منطق والدته فرفع عينيه إليها ليصطدم بنظرتها المصممة. أسقط في يديه فلم يدر كيف يصرف عنها أفكارها ولا كيف يصرف رنا القابعة بالأسفل. شعر بالغيظ يضطرم في جوفه وبسحب مكفهرة تتجمع على عقله وتسارعت الأفكار من سيئ إلى أسوأ فأدرك أنه يمر بنوبة غضب.. أخذ يتنفس أنفاسا عميقة من أنفه ويخرجها من فمه ببطء حتى هدأ قليلا فقرر تفنيد الأفكار التي سببت له ذلك الاضطراب. طمأن نفسه أولا بأن نزوله الآن ليس معناه

زواجا فوريا من رنا، وذكّر نفسه أن حب والدته العميق لن يرضى له بالتعاسة وإن تظاهرت بغير ذلك.

انتظمت دقات قلبه وهدأت أنفاسه وصَفا فِكره فقرر الاستسلام والنزول لعبور الموقف ثم التفكير في تبعاته لاحقا.

قام من فراشه فاتسعت ابتسامة صافي وربتت على كتفه راضية ثم خرجت.

اقترب أدهم من غرفة الجلوس حيث تنتظر رنا فوجدها تتكلم في الهاتف بحدة تداعى فيها جسدها كله بالحركة. وقف عند الباب يتأملها.. كان وجهها شاحبا قاتما بلا مساحيق تجميل، فلم يخفّف من حدة ملامحها سوى شعرها المتموّج اللامع الذي أحاط بها. ارتدت طاقما رياضيا مكونا من سروال وسترة من القطيفة السوداء تلتمع عليها فصوص صغيرة من الكريستال. لم يفهم كيف يجتمع التطريز البرّاق مع مفهوم الزي الرياضي ولكنه سرعان ما انتبه من أفكاره على يد رنا التي امتدت إليه بعد أن أنهت مكالمتها.

سلّمت عليه في عملية، وربما بقدر من الفتور جعل الأمل ينبت في قلبه، ففتورها يعني أن مهمة صافي التي انضمت لهما لن تكون سهلة. حاولت جمعهما في حوار واحد قاطعه لحسن الحظ صوت رنّات هاتف رنا المتكررة. لم تيأس صافي من محاولاتها المضنية حتى على مائدة الغداء، لتقاطعهم رنة جديدة ومكالمة جديدة.

لاحظ أدهم أن رنة هاتف رنا كانت هي الرنة الأصلية، رنة رسمية دون أي طابع شخصي. تذكر رنة هاتف أبرار، كانت رنة مسلسل اللقاء الثاني، وكان أدهم يستغرب أحيانا ذوق أبرار الكلاسيكي، عن نفسه

لم يكن يكره الأغنية، ولكنه كان يستسخف فكرة المسلسل التي كانت تدور في أجواء كئيبة من الألم والندم، جسّدها محمود ياسين مع بوسي في براعة كفيلة بأن يخسراه إلى الأبد.

رنّ صوت رنا الحاد في خلفية أفكاره:

- يا دينا إنتي المديرة، ومديرة أي فرع فرانشايز في الدنيا هي المسئولة عن اختيار الموديلات المناسبة لثقافة المجتمع، أنا مش فاهمة إنتي ليه مدخلاني في الموضوع!

ذكّره لفظ فرانشايز بالفرنش فرايز التي يحبها كثيرا، كانت أبرار تحاول دوما إقناعه بأنها مضرة، قالت له أن البطاطس المقلية مضرّة كالسجائر فوعدها ضاحكا أن يقلع عن التدخين كي يأكل منها براحته.

- شغلك القديم مش زي التوكيل بتاعنا، إحنا بنتكلم عن توكيل رياضي أغلب الشباب بتلبس منه.

لم ير أبرار ترتدي أحذية رياضية بل كانت ترتدي أحذية ذات كعب عالٍ يزيدها طولا ورشاقة.

- دينا أنا مش هينفع أجرّب، التوكيل ده أهم حاجة في البيزنس بتاعي، لو حاسة إنك مش قد الشيلة عرفيني.

بدا أن دينا قد احتدت عند هذه النقطة من الحوار فبدا صوتها واضحا حتى أن رنا اضطرت للقيام من على المائدة لاستكمال المكالمة فانتهز أدهم الفرصة وقام مسرعا إلى حجرته ليتنفس الصعداء أخيرا مع إحكامه إغلاق الباب.

وقف بجوار نافذته وأزاح الستارة، رأى قطرات خفيفة من المطر تتساقط، تمنى لحظتها أن يرى رنا مغادرة. ويبدو أن أبواب السماء المفتوحة قد تلقّفت أمنيته، فبعد لحظات ظهر شعر رنا المتموج أسفل نافذته، ثم مع ابتعادها ظهر معطفها الأسود ثم باقي جسدها.

عبرت الحديقة بخطوات واسعة نحو البوابة وهي تحاول أن تقي شعرها قطرات المطر بإحدى يديها، بينما امتدت الأخرى إلى حقيبتها لتخرج منها إيشاربا صغيرا وضعته فوق رأسها وربطته في عقدة سريعة أسفل ذقنها لحماية تسريحتها من المطر.

- باي باي رنا.

هتف أدهم في حبور وهو يبتعد عن النافذة، تاركا الستارة تعود لمكانها.

***

-25-

المطر الكاشف

وقفت نادرة في مدخل مبنى الشركة تستجوب محروس حارس أمن العقار إذ كان هو الأخير على قائمتها من موظفي الشركة الذين قررت استجوابهم بنفسها. عانت في حوارها معه إذ كان قليل التركيز سريع التشتت ولذا كان استخراج المعلومات منه أصعب من استخراج الماس من المناجم المدفونة. وقد جعلتها حالته تتأكد مما قرأته عن التأثير السلبي للاستخدام المفرط للهواتف الذكية على التركيز.

كانت تنهي حوارها معه يائسة حينما لمحت أبرار تدخل من الباب، أسرعت نادرة إليها واحتضنتها بشكل مفاجئ قائلة:

- يا حبيبتي.. ما تقلقيش.. قرّبت بإذن الله.

*

- قلتيلي عمته قالتلك إيه؟

سألت مها أبرار في فضول فأجابتها:

- دي ست غريبة جدا.. قالتلي ماتقلقيش وقرّبت.

- تقصد إيه؟

- وأنا إيش عرفني.

- ما سألتيهاش؟

- لا طبعا، أنا بجد حاسة إنها مش طبيعية. دي كانت عمالة تتخانق مع محروس بتاع الأمن، وأول ما شافتني جت عليا وحضنتني وقالتلي الكلمتين دول وبعدين سابتني ومشيت، وقبل ما تخرج من الباب لفّت وغمزتلي. بالذمة دي تصرفات ناس عاقلين!

- أمَا غريبة.. طب وأدهم؟

- ماكانش موجود فاتكسفت أسأل عليه. ومايسة لما شافتني قالتلي من نفسها إنه استقال من الشركة ومابقاش بيجي خالص.

- استقال! غريبة، كنت متوقعة يمسك الشركة بعد باباه.

- قلتلك مش بتاع مسئولية. زمانه داير مع صحابه وبياخد مصروفه من مامته كل شهر.

- داير مع أصحابه! إنتي قديمة قوي.

علّقت مها ضاحكة فاغتاظت أبرار وقالت في غضب:

- مها لو سمحتي ما تجيبيليش سيرته تاني. الموضوع ده بالنسبة لي اتقفل للأبد.

*

- شفت حبيبتك النهاردة.

اعتدل أدهم في جلسته وضغط الهاتف على أذنه أكتر وهو يهتف:

- شفتي أبرار؟

- لا رنا.

- إحنا هنهزر يا عمتو!

- خلاص ما تزعلش. أيوة شفت أبرار وطمنتها كمان.

- شفتيها فين؟

- في الشركة.

- وإنتي إيه اللي وداكي هناك؟

- باعمل تحرياتي طبعا.. خلاص فاضل ع الحلو دقة، كلها يومين اتنين والمعلومات اللي مستنياها تجيلي وكله يبقى تمام.. أنت أصلك ماتعرفش محروس قالي إيه!

- إيه يا ترى؟

- هو طبعا طلّع عيني علشان يجمّع.. ده أنت لو سمعته بيتكلم لا يمكن تفهم هو عايز يقول إيه، بس عمتك فضلت وراه لحد ما طلعت منه بمعلومات جديدة.

- ها يا عمتو؟

- أول حاجة إنه سمع صوت خبط وفرقعة على الساعة 10:00 تقريبا، فخاف يكون البرق جه ف صندوق الكهربا اللي جنب الشركة، قام خرج ولف حوالين المبنى ورجع تاني. ممكن القاتل يكون دخل ف اللحظة دي، محتاجين نراجع تاني الليستة بتاعتنا ونشوف مين ماعندوش شهود على مكانه في الوقت ده.

- حاضر، وإيه تاني؟

- فاكر لما قال إنه شاف حد شبه سيف بيعدي الطريق؟ الموضوع

ده غريب. محروس بيتكلم عن لقطتين مش عارفة أربطهم ببعض خالص. هو مصر إنه شاف سيف، شافه من ضهره وهو بيعدي الشارع وحاطط بالطو أو جاكت ع دماغه.

- من ضهره! هو كان شافه من ضهره؟ وعرف إنه سيف! ده بيستهبل.

- ماهو الغريبة انه بيقولي إنه شاف سيف من ضهره بيعدي الشارع، وفي نفس الوقت بيحلف إنه شاف وش سيف وسط المطر، لكن مش قادر خالص يفتكر شافه إمتى وفين.

- إزاي من ضهره وإزاي من وشه؟ إيه التخريف ده؟!

- مش بس كده، ده بيقول إن سيف اذاله فلوس، بس لمّا نقلوه المستشفى ماكانش معاه ولا مليم.

- تلاقيه بيتخيل.

قالها أدهم وزفر في يأس.

- ولا كان معاه الموبايل بتاعه. غالبا الحاجات اللي كانت معاه اتقلّبت منه بعد الحادثة، فعمرنا ما هنعرف كان معاه فلوس ولا لأ وقت الحادثة.

- عارفة لو كانوا لقوا معاه فلوس، كنت هاقولك هو القاتل، وهو اللي سرق رزمة الفلوس من بابا الله يرحمه، ومش بعيد يكون رمى نفسه تحت أي عربية علشان يبعد عنه الشبهات. إنما طالما مالقوش معاه فلوس... استني هو بيقول سيف إداله فلوس ليه؟

- ما قالش، وده اللي محيرني!

- شكله عبيط سيبك منه واحكيلي عن أبرار.. هي كانت رايحة الشركة ليه أصلا؟

- تصدق ما سألتهاش.. مش هتحكيلي أنت عن رنا؟

- بطّلي غلاسة بقى، إنتي عارفة إن رنا «بلاك ليست»، حتى لو مافيش أبرار.

- ليه دي حلوة وشيك وأمورة.

- مش بتعجبني يا ستي، أنا حرا لا شكلها ولا لبسها، لعلمك هو شعرها اللي محليها لو شفتيها بالحجاب هتلاقيها واحدة تانية.

- إيه ده هي اتحجبت؟

- لا طبعا، الدنيا كانت بتمطر فخافت على شعرها ولبست إيشارب كده، أنا كنت شايفها من ضهرها بس لمّا لفت علشان تركب العربية استغربت شكلها.

شردت عمته فجأة فسألها:

- رحتي فين؟

- بتمطّرا!

ردّدت نادرة بنبرة حائرة خلت من السخرية والعبث السابقين.

- موضوع المطرة ده محيرني يا أدهم، دي مش أول لقطة يبقى فيها مطر، حساه هو مفتاح الجريمة. زي جهاز كشف الكدب كده،

المطر ينزل على الناس يغسلهم ويكشف كدبهم.

- أنا مش فاهم حاجة.

- .....

- آلو آلو.. هي قفلت السكة ولا إيه!

همس أدهم لنفسه متعجبا ثم حاول الاتصال بعمته ثانية.

- هذا الرقم قد يكون مغلقا أو خارج نطاق الخدمة، حاول الاتصال في وقت لاحق.

*

تزايدت ضغوط الأخوين كامل وهادية على كائن الأبرار الحبيس، وفي ليلة وضحاها أصبحت سيرة الدكتور طارق هي القاسم المشترك لكل حوار!

الأستاذ كامل يتكلم عن دماثة خلقه وإخلاصه في العمل ومستقبله اللامع كطبيب. بينما تُبرز العمة مدى ملاءمته لابنة أخيها من حيث التناسب في المستوى الاجتماعي والثقافي والمادي، مرورا بلطفه وظرفه وكرمه وعطفه، وحتى التقارب في الطول بينهما!

- عارفة إنك مش بتحبيه.

قالتها عمتها وهي ترتشف رشفة من كوب القرفة الساخنة.

- الحب بيجي بعد الجواز، باباكي حب مامتك بعد الجواز، وشوفي علاقتهم كانت ناجحة إزاي.

أجابتها أبرار بنظرة شاردة فسألتها:

- لسه بتفكري في أدهم؟

- موضوع أدهم اتقفل خلاص يا عمتو.

- أومال إيه يا أبرار؟ إدي الراجل ريق حلو، اتقابلوا بره واتكلموا مع بعض، إدي لنفسك فرصة تعرفيه، مش يمكن يطلع كويس؟

- بس...

- ما بسش! هو إحنا هنغصبك ع الجواز يا بنتي؟ لو ماعجبكيش هتقولي لأ، وهنقفل الموضوع على طول.

بدا كلام عمتها في ظاهره منطقيا فهي متأكدة أن أباها لن يجبرها على الزواج أبدا مهما كانت الأسباب. ولكنها...

خافت من نفسها، خافت من فكرة الاعتياد!

أن تقبل بعلاقة عادية بديلا عن الحب الذي طالما حلمت به.

- خلاص يا كامل، أبرار وافقت يتقابلوا بره.. إديله معاد وخلينا نشوف.

رمقت أبرار عمتها وهي تخاطب أباها.. أرادت أن ترفض، ولكنها لم تجد على لسانها أية عبارات في صفها. فسكتت.

***

-26-

إلى أين؟

رنّ الهاتف في منزل الأستاذ كامل صبيحة يوم ما.. رفعت أبرار السماعة لتسمع أباها يقول:

- خلاص يا حبيبتي أنا رذيت.

كانت المتصلة امرأة لم تميز أبرار صوتها. وبعد لحظات طرق عليها أبوها باب غرفتها، وطلّ برأسه منه قائلا:

- أبرار ممكن تلبسي، عندنا مشوار مهم.

استغربت أبرار الغموض الذي خيّم على أبيها، لماذا لم يقل إنهم ذاهبون للقاء الدكتور طارق؟ هل يحاول التهرّب من ذكر اسمه لمعرفته بأن الأمر يتم على غير هواها؟ بم تفيد التورية وبم يفيد التهرّب، إذا كانت الحقيقة واقعة لا محالة؟!

فتحت أبرار خزانة ملابسها في استسلام، واحتارت.

لم تكن في مزاج يسمح لها باختيار الملابس والتزين ولكنها خافت إن اختارت لباسا عمليا بسيطا أن يظن أبوها أنها تعمدت ذلك كأسلوب من أساليب التطفيش. ولكن بعد لحظة أدركت أنها لا تريد زيا بسيطا، بل تريد زيا يشعرها بالثقة والقوة، بالاستقلالية وحرية القرار.

هذه هي المشاعر التي أرادت استجلابها خلال اللقاء المرتقب.

انتقت أخيرا بلوزة حريرية واسعة وطويلة بلون الحليب، وارتدت فوقها كنزة صوفية قصيرة باللون البيج، على سروال أسود ذي قصّة رسمية. وارتدت «إيشاربا» حريريا منقوشا بدرجات البيج والأسود، واختارت سلسلة ذهبية طويلة تدلت منها قطعة كبيرة غير متناسقة من حجر الجاد الأسود، مع حذاء كلاسيكي أسود ذي كعب عال.

نظرت لنفسها في المرآة وابتسمت. خرجت من حجرتها مسرعة متوقّعة أن تجد أباها قد استعد وبانتظارها في مكانه المعهود على المقعد المجاور لباب المنزل. ولكن لدهشتها، كان المقعد شاغرا!

هل اضطر لدخول الحمام مرة أخيرة قبل النزول؟

نظرت لباب الحمام فوجدته مفتوحا، نادت عليه فوجدته في غرفته أمام المرآة يحاول بأصابعه المرتعشة عقد ربطة عنق بلون دمّ الغزال القاني. لفت نظرها فراش والدها وقد ارتمت عليه عدة قمصان وسراويل.

أبوها –ولأول مرة منذ سنوات– محتار في انتقاء زيّه هو الآخر!

لم يكن هذا ديدن أبيها، إذ كان يسحب ما اتفق من الملابس من الخزانة دونما النظر إليها، حتى أن والدتها كانت تصفّ له ملابسه في أطقم متناسقة، اتقاء لاختيار سيئ محتمل. فما الذي حدث اليوم؟!

أشعرتها الابتسامة الغريبة التي اختلجت على شفتيه بالتعاطف. لم تكن تدرك أن موضوع زواجها من الدكتور طارق يؤرقه إلى هذا الحد، اغتصبت ابتسامة وقالت له:

- ماتقلقش قوي كده يا بابا.

لم ينتبه إلى ما قالت، بل افترت شفتاه عن كلمات ما.. كان يدندن أغنية.

«فات المعاد. وبقينا بعاد بعاد».

امتدت يده إلى زجاجة عطره العتيقة فبخ منها عدة بخات في يديه، مسح بها على وجهه ورقبته، وعدة بخات أخرى على ملابسه، ثم التفت نحوها قائلا:

- يلا بينا.

*

جلست أبرار بجوار أبيها في السيارة صامتة وقد تدثّر أبوها بالصمت هو الآخر، مدندنا بين الفينة والأخرى لحنا ما، كان في الأغلب لكوكب الشرق. شعرت أبرار باختناق مفاجئ، وكأنها ذلك الضفدع في إناء الماء الذي ظلت حرارة الماء تتزايد عليه في بطء، حتى مات في مكانه.

كانت تخشى مصيره.

تخشى قبول حياة ماسخة الطعم، تعتادها والسلام.

تذكرت والدتها وترددت كلماتها في قلبها:

- مش هيرضيكي غير الحب، وهتاخديه يا حبيبتي بإذن الله، إياك بقى تحافظي عليه وماتعمليش زي أبوكي.

هل كانت تلك الكلمات نبوءة؟

هل تنازلت عن حبها مثل أبيها؟

- وقّف العربية يا بابا حالا لو سمحت.

- فيه إيه يا حبيبتي؟

- أنا مش هاتجوز الدكتور طارق.

- طيب يا حبيبتي على راحتك.

- طيب وقف العربية.

- ليه؟

- مش هاتجوزه باقولك.. أقابله ليه بقى؟

- ومين قال يا بنتي إننا رايحين نقابل الدكتور طارق؟

- أومال رايحين فين؟

ابتسم والدها ولم يجبها. وبعد لحظات، بدأ يدندن:

«رايحين على البلد اللي تجمع شمل العشاق».

- باباااااا..

«نفرح ونغني ونودع عهد الأشواق».

***

-27-

رمّان منثور

توقّفت السيارة أمام قصر آل عبد اللطيف!

- بابا إيه اللي جابنا هنا؟

ابتسم في وجهها قائلا بتلعثم:

- دي دعوة من.. من نادرة.

لم تفهم أبرار شيئا! متى جاءت تلك الدعوة؟ ولِمَ قد تدعوهما نادرة؟ ولماذا استجاب والدها؟ وكيف لم يخبرها؟

نادرة!

بدأ عقل أبرار يربط الخيوط ببعضها.. مكالمة الصباح، حالة والدها غير المعتادة، اختياره لملبسه، دندنته.

نظرت لأبيها حائرة ولم تعلم لأي المشاعر تستسلم، للغضب؟ أم الفضول؟ أم للحيرة إزاء حالة أبيها الغريبة؟!

- يلا؟

قالها بابتسامة لم تنجح في إخفاء ما وراءها من قلق. وأتى من خلفها صوت يقول:

- إنتي كمان جيتي؟ كويس.

- عمر؟

- يلا بينا، كلهم جوه.

- أنا مش فاهمة حاجة.

- ماحدش فاهم حاجة، بس إن شاء الله خير.

قالها عمر وهو يصافح الأستاذ كامل الذي ترجّل من السيارة. وإزاء وقوفهما معا بانتظارها لم تجد أبرار بدا من الانضمام إليهما. مرّ ثلاثتهم من بوابة السور الحديدي المفتوحة، وقطعوا الحديقة في صمت حتى وصلوا إلى باب القصر الذي كان مفتوحا.

دخلت أبرار إلى البهو الداخلي. رنّت خطواتها الثابتة على الأرض المكسوة بالرخام فانتبه لها الجميع.. وانتبهت لهم.

شيري الجالسة على مقعد في صدر البهو تبدو عليها ملامح الحزن، وقد ارتدت فستانا أسود قصيرا ذا أكمام بيضاء، أظهر براءتها وجمالها. وبجوارها وقفت صافي التي ارتدت بلوزة من القطيفة السوداء ذات أكمام ساقطة تظهر كتفيها، وسروالا رماديا.

على مقربة منهما وقف حسام، ولم تظهر صفحة وجهه أية مشاعر داخلية، وقد ارتدى قميصا قطنيا أبيض اللون على سروال من الجينز الأزرق، ووضع على كتفيه كنزة بلون قشرة البندق، بينما جلس أخوه سيف بجواره، وقد اتسعت ابتسامته الجذلة وانسدل شعره الدهني الأسود على سترة من الجلد ارتدى تحتها قميصا أزرق وسروالا كحليا. وعلى مقربة منهم وقفت رنا تتحدث في هاتفها وقد ارتدت بلوزة شتوية منقوشة كجلد النمر وسروالا من الجلد الأسود، وقد عقصت شعرها إلى الخلف فظهر بروز عظام وجنتيها.

وفي الركن الآخر من البهو، اجتمع زملاء العمل، ميّزت منهم مايسة والأستاذ عبد الله وسامح وعشري ومحروس.

استقر الحضور في أماكنهم باستثناء الخادمة الشرق آسيوية التي كانت تدور بصينية فضيّة تراصت عليها كؤوس العصير تقدّم منها للحضور.

دارت أبرار بعينيها تبحث عن صاحبة الدعوة.

وعن..

أدهم.

دقّ قلبها سريعا حينما لمحت أدهم خلف الباب الزجاجي الذي يفصل البهو عن الحديقة واقفا بجوار المسبح مع عمته والحاج مهدي، يتبادلون الحديث بجدية.

أخذت أنفاسا بطيئة وعميقة كي تهدئ من ضربات قلبها، انتبه لها والدها، بينما انطلق عمر نحو شيري وصافي مصافحا.

لم يتحرك أحد للترحيب بأبرار سوى مايسة التي أومأت لها ثم أشارت لها أن تنضمّ إليهم. ترددت أبرار. فالهواء كان ثقيلا وكانت رغبتها بعدم التواجد وسطهم ملحة، التواجد تحت نظرات صافي الباردة، ونظرات سيف المتفرّسة المتبجّحة.

استدارت وهمّت بالخروج، لولا أن لمحها أدهم فانطلق نحوها.

ابتعدت.

فاقترب.

تسارعت طرقات حذاءها، فعاجلها.

- أبرار.

بزغت ألف شمس..

دفء وفراشات ومطر ورائحة القرفة الطازجة وبريق حبات الرمان المنثورة. توقف جفناها عن الارتجاف، توقف قلبها عن ضخ الدم.

وسكن كل شيء.

- أبرار.

عاد قلبها يدق بأعلى من دقات حذائها وضخ الدم بجنون في كل الأنحاء.. تصاعدت أصوات زقزقة العصافير، وخرير الماء، وقيثارة فيروز.

وقف أدهم أمامها، وتلقّف كفّها مسلّما.

شرارة كهرباء عمت جسدها فسحبت كفها سريعا ورفعت أهدابها نحوه نظرت في عينيه..

وقيل كل شيء.

*

- أهلا أستاذ كامل. اتفضل.

حيّته نادرة فعاد شريط الزمن ثلاثين عاما في لحظة وأشرق مزيد من الشموس والنجوم والفراشات ونداء الكروان وألحان بليغ وعذوبة وردة ورائحة البن المطحون وعبير الليمون.

*

- السلام عليكم.

انضم إليهما الحاج مهدي مرحبا.. فانقشع كل شيء!

استأذنت منهما نادرة واتجهت نحو الخادمة وهمست في أذنها فتراجعت الخادمة من البهو وانزوت بينما وقفت نادرة وسط الجمع. أخذت أنفاسا عميقة ثم تنحنحت بقوة فانتبهوا لها جميعا.

قالت بصوت عذب طغت عليه حالتها السابقة:

- أنا جمعتكم هنا في بيت أخويا الله يرحمه علشان أنتم عيلته، وعشرته، وأقرب الناس إليه.

صمتت تتأمل الوجوه، ثم أردفت:

- بس للأسف فيه حد خسيس خان الأمانة، ولازم ياخد جزاءه.

قالتها بنبرة غريبة.. ظاهرها الصلابة وباطنها الألم.

تصاعدت بعض الهمهمات وتبادل كثير من الموجودين النظرات.

- عبد اللطيف اتقتل يوم الأربع ما بين الساعة 7:30 و10:30 زي ما الطب الشرعي قال، واللي قتله يعرفه، وإلا ماكانش لطيف دخّله المكتب واداله ضهره.

- يعرفه ومعاه أرقام الخزنة.

قاطعها عمر على استحياء.

- لا مش بالضرورة، عبد اللطيف اذى ضهره للقاتل وفتح الخزنة

يطلع منها حاجة، ساعتها القاتل خبطه على راسه من ورا، وقع لطيف على الأرض فانتهز القاتل الفرصة وخد المسدس من الخزنة ضرب منه على لطيف ورماه على الأرض وقفل الخزنة ومشي.

- يعني حضرتك عرفتي القاتل؟

- الأستاذ عبد الله.

انتفض الأستاذ عبد الله وصرخ:

- إيه؟ يعني إيه؟

أكملت نادرة كلامها دون أن تلتفت للرجل الذي أوقعت قلبه في قدمه:

- الأستاذ عبد الله راح للطيف المكتب الساعة 11:00 بالليل.

امتقع وجه الأستاذ عبد الله وهو يهتف:

- لا لا ماحصلش.

- مافيش داعي تنكر يا أستاذ عبد الله، أنت طول عمرك مخلص للحاج.

قالتها نادرة بنبرة لطيفة بها تأنيب خفيف فأطرق الرجل برأسه قائلا:

- آه والله العظيم. ربنا اللي يعلم.

- يبقى تقول الحقيقة.

اختلجت شفتاه للحظة ثم أجمع أمره قائلا:

- أنا فعلا لما جيت يومها هنا البيت وسألت على الحاج وصافيناز هانم قالتلي إنه في المكتب، قررت أروحله على هناك.

- بس أنا ماشفتكش يومها خالص.

قالها محروس متحيّرا.

- أنت كنت مشغول بالموبايل وأنا دخلت وخرجت من باب الجراج، مانا معايا مفتاح.

- طب وليه باب الجراج؟

سأل أدهم متحيرا.

- ماكنتش عايز محروس يشوفني ويسألني ليه أنا في أجازة وسين وجيم، كنت عايز أخلّص الموضوع مع الحاج وامشي على طول.

- وبعدين؟

سألت نادرة.

- لما طلعت، شفت.. شفت..

لم يستطع الرجل إكمال العبارة فأخفى رأسه بين كفيه.

- شفت لطيف مقتول مش كده؟

رفع رأسه بغتة مؤمنا على قول نادرة:

- أيوة مظبوط. لكن أنا والله.. والله ماقتلته.

- عارفة. مع إن معاك أرقام الخزنة، ولطيف كان مديك أجازة لما

اكتشف الاختلاس، لكن أنت ماقتلتوش. وعلشان قلبك يرتاح هو ماكانش شاكك فيك خالص، بالعكس هو كان بيقولي إنه بيثق فيك أكتر من نفسه. وقبل الحادثة بيومين كلمني وطلب مني أدعيله، وحكالي على موضوع الاختلاس، وقالي إنه إداك أجازة علشان المختلس الحقيقي يبقى مطمن ويفتكر إن لطيف شاكك فيك أنت فيعرف يبحث وراه براحته. لكن للأسف القدر لم يمهله إنه يرجّعك شغلك ويقول لك الكلام ده بنفسه.

نظر إليها عبد الله نظرة تجمع بين الألم والامتنان، ثم سألها بغتة:

- إنما حضرتك عرفتي منين إني رحت الشركة يوم الحادثة؟

- مراتك قالتلي.

- إيه؟

- مش علشان تِخلَص منك بالعكس، هي ماقالتليش غير لما حلفت لها إني متأكدة من براءتك وحكيتلها على مكالمة لطيف عنك واترجيتها تقول الحقيقة علشان أقدر أوصل للقاتل.

- كان لازم أعرف إن مراتي مابتتبلّش ف بقها فولة.

قالها الأستاذ عبد الله في حنق، بينما سأله أدهم في عتاب حائر:

- ليه ما بلّغتش أول ما شفت بابا يا أستاذ عبد الله؟

- كان على عيني، بس خفت البوليس يقبض عليا. مين هيصدقني لو قلت مش أنا؟ الموظفين عارفين موضوع الاختلاس والأجازة. بس والله عيني ما غمضت وأول ما النهار طلع جريت على الشركة

ولما لقيتهم لسه ماكتشفوش اتصلت بالنجدة على طول.

- أومال مين القاتل؟

سأل عمر في حيرة، فقالت نادرة:

- حسام.

اتجهت الأنظار من فورها لحسام، الذي ظلّت ملامحه جامدة.

- حسام.. أنت خدت شيك من حماك بعشرين مليون جنيه.. ليه؟

توتّر وجه شيري، وامتعض وجه صافي.

- مش حابب أقول السبب.

- لطيف ماكانش بيشتري الناس بالفلوس، أنت ماخدتش الشيك علشان تفضل مع شيري.

تجهّم وجه حسام بينما أشرق وجه شيري بالأمل.

- كنت بتبتزه؟

تحول التجهّم إلى غضب مكبوت بدا في صوته وهو يقول:

- مستحيل أبتز عمو لطيف الله يرحمه.

- وبعد ما خدت الشيك قتلته؟

انبرى عشري يعارضها:

- لا يا حاجة.. ما قتلوش، أنا شفت الحاج عايش بعد ما حسام بيه نزل.

- كنتم متفقين؟ قبضك علشان تسكت؟

- سكّت عمتك يا أدهم لو سمحت.

قال حسام في غضب وهو يحاول ضبط نفسه، ولكن قبل أن يتدخل أدهم قالت نادرة في صرامة:

- لا مش هينفع أسكت النهاردة يا حسام، بس أنا عارفة إنك ما قتلتش لطيف. أنت كنت بتحترمه وبتحبه.. أنا شفت الحب ده في عينيك، والحب ده هو اللي خلّاك تصبر على بنته. مش الفلوس.

- أومال الفلوس ليه؟

سألت شيري بصوت متردد.

- علشان يفتح بيزنس لنفسه.

- إيه؟

هتف الحاج مهدي وهو ينظر إلى ابنه في غضب بينما ارتخت ملامح حسام ولم يعقّب.

- أيوة.. لطيف كان بيحب حسام زي ابنه، وكان عارف قد إيه هو طموح ومش عايز يفضل عايش في جلباب باباه وحماه. لطيف شجّعه، وادّاله مبلغ محترم يموّل بيه صفقة معينة. أول صفقة لحسابه علشان يكبر ويستقل زي ما كان بيحلم.

ظهر غيظ مكظوم في عيني الحاج مهدي، وعيني سيف أيضا. بينما رقّت ملامح حسام قليلا. سألته شيري في عتاب حائر:

- ما قلتش كده ليه يا حسام من الأول؟ ليه سبتني أفتكر إنك

خدت فلوس من بابا علشان تفضل معايا؟

لم يردّ حسام، بينما حدجت نادرة الحاج مهدي بنظرة ذات مغزى، وتساءل عمر:

- يعني حسام مش القاتل؟

- لا مش حسام، عشري فعلا شاف لطيف بعد ما حسام نزل من عنده.

اتجهت النظرات نحو عشري الذي بدا مزهوًا إلى أن بدد سيف زهوه قائلا:

- يبقى أنت اللي قتلته يا عشري.. علشان الفلوس.

بهت عشري.

- لا والله أبدا، حرام عليك يا أستاذ سيف، ده كان وليّ نعمتي.

ثم هتف بنبرة عدائية:

- وليه مايكونش أنت؟ مش محروس شافك يومها؟

أمّنت نادرة على قول عشري بسؤالها:

- ها يا سيف؟

هبّ سيف من مقعده هادرا:

- مالي أنا بأي حاجة؟ أنا كنت في إسكندرية.

- من الساعة كام؟

- من بدري، وعندي شهود.

عقّبت نادرة بنبرة ناعمة:

- آه.. الشهود. بس زي ما أنت قبّضتهم علشان يشهدوا بالزور، أنا قبّضتهم علشان يقولوا الحقيقة.

- تقصدي إيه؟

سأل حسام في ريبة.

- سيف ما كانش في إسكندرية وقت الحادثة. سيف كان هنا، وتحديدا.. في التجمع.

- إنتي أكيد اتجننتي.

صرخ سيف فنهره والده قبل أن يشتبك معه أدهم قائلا:

- اصبر يا سيف.

- أنا ماتجننتش ولا حاجة.

قالت نادرة.

- كله بشهادة الشهود، البارمان في الفندق اللي جنب الشركة شهد إنك سهرت في بار الفندق لحد متأخر، وبتوع إسكندرية قالوا إنك وصلت على الفجر.

- إنتي إيه اللي يخليكي تدوري ورايا أصلا؟

- الدافع.. الدافع يا سيف.

- دافع إيه؟

- علشان أعرف مين اللي قتل أخويا كنت بادور على مين عنده الدافع يتخلص منه. وأنت عندك كذا دافع، ممكن مثلا بسبب الاختلاس، تكون أنت المختلس اللي بندور عليه.

- وهاختلس إزاي؟ إنتي مش دريانة إني خلاص مش باشتغل في الشركة ولا إيه؟

أكملت نادرة متجاهلة تعليقه:

- وممكن الانتقام، علشان كشف سرقتك القديمة ورفض يرجعك تشتغل. وممكن كمان الفلوس.. تكون رحت له علشان تستلف منه فلوس فرفض فقتلته علشان تسرقه.

تدخّل الحاج مهدي قائلا باستخفاف:

- لاااا كده وسعت منك قوي، مين ده اللي يسرق؟ إنتي نسيتي هو ابن مين؟ سيف عنده كل حاجة، شيلي سيف خالص من حساباتك.

تجاهلته نادرة واستمرّت موجهة كلامها لسيف:

- وشهادة محروس إنه شافك ليلتها بتعدي الشارع من ضهرك، وإنه شاف وشك.

رد سيف باستخفاف قائلا:

- آديكي قلتي بنفسك. شاف وشي ولا ضهري؟ ده بيخرّف.

- الحقيقة هو شاف الاتنين فعلا.. لكن سيبك من محروس، فيه شهود إنك كنت سهران في البار هنا ف التجمع، مش في إسكندرية.

- أنا حر أروح مطرح ما أروح. المهم إني ماقتلتش حد.

قاطعه أدهم.

- وأما ماقتلتش حد كذبت ليه وقلت إنك كنت في إسكندرية؟

تحرّك سيف نحو أدهم وقد بدت أمارات العنف على وجهه وحركاته فتصدى له حسام قائلا:

- اصبر يا سيف.. ماينفعش كده.

بينما أقرّت نادرة:

- أنت صحيح ماقتلتش حد.

هدأ سيف فجأة وارتخت عضلاته هو ينظر إليها متسائلا:

- أومال فيه إيه؟

- بس كنت هتقتل.

- أنا مش فاهمة حاجة أبدا.

هتفت صافي بغتة بصوت حاد كالصفير فأجابتها نادرة بهدوء:

- سيف هو اللي خبط محروس بالعربية.

تصاعدت الهمهمات والتساؤلات فتجاهلتهم نادرة وأكملت بإصرار:

- سيف كان سايق وهو سكران. محروس كان واقف جنب الرصيف علشان يروّح فسيف خبطه ونزل يبص عليه. ماعرفش يتصرف إزاي، طلع الفلوس اللي كانت في جيبه وحطها في جيب محروس، وهرب بعربيته على إسكندرية، ودفعلهم هناك علشان يشهدوا بالزور.

هتف محروس قائلا:

- يعني أنا كنت صح، شفت وشه تحت المطر، واداني فلوس فعلا. الله.. الفلوس راحت فين أومال؟

- أكيد ولاد الحلال قلبوك يا حلو.

قالتها مايسة بسخرية بينما عقّب أدهم في حيرة:

- يعني مش سيف اللي قتل بابا! أومال مين؟

- صبرك بالله يا أدهم.. كان فيه ملاحظة مهمة في تقرير الطب الشرعي استنتج منها المحقق إن اللي أطلق الرصاص كانت إيده مهزوزة، كأنها إيد طفل، أو واحدة ست.

تصاعدت الهمهمات من جديد أقوى من أي مرة..

- ومحروس شاف واحدة نازلة من الشركة. يمكن دي آخر حد اتشاف نازل من الشركة بعد حسام وبعد عشري كمان. والواحدة دي كانت طويلة، رشيقة، و.. محجبة.

اتجهت أنظار الجميع بلا استثناء نحو أبرار التي رفعت ذقنها لأعلى بينما وقف والدها في تحفز وعضّ أدهم على شفته يحدج عمّته بنظرات اللوم.

تحركت نادرة نحو حقيبة نسائية رمادية اللون موضوعة على رفّ المدفئة الرخامية التي تزين البهو وأخرجت من جيبها شيئا ما علّقته في الحقيبة ورفعته أمام الجميع فإذا به القرد الرمادي وقد تدلّى من الحقيبة متماثلا مع لونها تماما.

- شنطتك يا أبرار.

هتفت مايسة فأجابتها أبرار بنبرة حائرة:

- بس دي مش شنطتي.

ارتفع صوت حاد قائلا:

- دي شنطتي أنا.

***

-28-

القاتل

اتّجهت العيون نحو رنا التي نظرت إليهم في عدم فهم، فتطوعت مايسة قائلة:

- القرد ده لقوه واقع في المكتب يوم الجريمة.

رفعت رنا كتفيها في لا مبالاة قائلة:

- وإيه يعني؟ ممكن يكون وقع مني ف أي مرة زرت فيها عمو.

نظرت نادرة إلى أحد الموظفين وسألته:

- ممكن فعلا يا سامح؟

تنحنح سامح وهو ينظر إلى رنا قائلا:

- آسف يا آنسة رنا، بس الحاج يومها الصبح طلب مني أدور له على زرار كم القميص بتاعه، فتشت يومها المكتب حتة حتة لحد ما لقيت الزرار. وبعد ما لقيته كنست السجادة بالمكنسة الكهربا ومسحت الأرض. القرد ده ماكانش موجود، أنا متأكد.

اضطرم وجه رنا، بينما أخرجت نادرة من جيبها قطعة قماش ملونة فردتها فإذ بها «إيشارب» صغير، توجهت نادرة صوب رنا قائلة:

- ممكن يا رنا تحطي الإيشارب ده على راسك.

نظرت لها رنا في استخفاف ولم تتحرك. اقتربت منها نادرة وشبّت

بجسدها محاولة وضع «الإيشارب» على رأسها ففقدت رنا رباطة جأشها ودفعت يديها عنها وهي تصرخ:

- ابعدوا الست المجنونة دي عني.

تدخل أدهم قائلا:

- رنا ماسمحلكيش.

- مانتش شايفها وسامعها بتقول إيه.

اقترب حسام مهدئا:

- طاوعيها يا رنا مش هتخسري حاجة، كلنا عارفين إنك ماقتلتيهوش، إنتي كنتي في الفندق طول الوقت، وعندك شهود.

ترددت رنا.. ناولتها نادرة «الإيشارب» فوضعته على رأسها مستسلمة.

- يا دين النبي. هي دي اللي نزلت من الشركة يومها بالليل. أنا متأكد.

هتف محروس فحدجته رنا بغيظ مكظوم وهي تنزع عنها «الإيشارب» وترميه أرضا.

- ها يا رنا؟

سألتها نادرة فقالت رنا وقد استعادت برودها سريعا:

- ها إيه؟ أنا ماقتلتش حد.

- إنتي رحتي للحاج يومها. أنا سألت في الفندق وقالوا إن كان

فيه استراحة في نفس الوقت اللي محروس شافك فيه. وإنك رجعتي متأخرة.. محروس شافك وإنتي نازلة والقرد بتاعك لقوه في المكتب.

- ولنفرض، هاقتل عمو لطيف ليه؟

- علشان التوكيل الرياضي اللي إنتي أخدتيه. تنكري إنك رحتيله يومها بالليل علشان تتفاوضي معاه على التوكيل؟ ودلوقتي التوكيل بقى معاكي، وبقى أهم حاجة ف شغلك كمان.

أشاحت رنا برأسها ولم ترد فصرخت صافي وهي تنقل النظرات بينها وبين نادرة:

- مش ممكن.. إنتي يا رنا تعملي كده في لطيف؟ إنتي!

انبرى الحاج مهدي يلوم نادرة في غضب ونفاد صبر:

- إيه يا ست نادرة، عمالة تتسلي على ولادي وأنا ساكت، ماتشوف عمتك يا أدهم، إيه يا مدام صافي؟ أنتم جايبنا تهزقونا؟ مافيش غير ولادى ولا إيه؟ رنا لا يمكن تعمل كده.

- عندك حق يا حاج، مش رنا اللي عملت كده.

اعترفت نادرة فهتف أدهم في يأس:

- أومال مين؟

- المطر.

- إيه!

- المطر هو كاشف الكدب بتاعنا، المطر هو اللي كشف وش سيف لما محروس شافه. والمطر هو اللي كشف رنا لما لبست الإيشارب. والمطر كمان كشف القاتل.

- اللي هو؟!

سأل الحاج مهدي ثم أردف ساخرا:

- بس يا ريت المرة دي بعيد عن عيلتي.

- للأسف صعب.. لأن اللي قتل لطيف.. هو..

اتسعت عيون الجميع وهم ينتظرون كلمتها.

- أنت.

قالتها وهي تشير بإصبعها فلوّوا برؤوسهم متتبعين الخط غير المرئي الخارج من إصبعها، ليجدوا الحاج مهدي في نهايته!

*

- أنت اللى قتلت أخويا وغدرت بيه بعد العشرة والنسب والعيش والملح.

- إيه الجنان ده؟ أنا لا يمكن أعمل كده. إنتي نسيتي إني كنت معاكم هنا طول الوقت!

- كنت معانا صحيح. بس مش طول الوقت. أنت جاتلك مكالمة تليفون، كانت من لطيف.. بيواجهك باللي اكتشفه. قررت تروحله الشركة فحطيت العباية بتاعتك على راسك وخرجت من الباب الوراني وعديت الشارع وسط المطر وطلعتله المكتب، ولما واجهك

وعرفت إنك اتكشفت، خلصت عليه.

ضحك الحاج مهدي ضحكة ساخرة وقال:

- إيه التخاريف دي، طب ومحروس؟ ماشافنيش وأنا داخل؟

- حظك إن محروس سمع صوت قبلها وكان بيلف حوالين الشركة فما شافكش وأنت داخل.

- طب وأنا خارج؟

- وأنت خارج لقيت محروس قاعد مكانه، فطلعت تاني ودست على زرار جهاز الاتصال الداخلي، وفتحت باب الجراج وخرجت منه. محروس لمحك من ضهرك وأنت بتعدي الشارع، لخبط بينك وبين سيف اللي شاف وشه ساعة الحادثة، وبعد ما فاق ماكانش عارف يفصل بين المشهدين، فافتكرك سيف.

- لا فعلا خيال متكلّف بصحيح. بس إنتي نسيتي حاجة مهمة، القاتل استخدم إيده اليمين وأنا أشول.

- ثقب الرصاصة ماكانش دليل على إيد طفل أو ست، ده كان دليل إن حد أشول استخدم إيده اليمين. أنت عملت كده قاصد علشان تبعد عنك الشبهات.

- إنتي ست مجنونة ومافيش أي دليل على الكلام اللي بتقوليه ده. ولا حتى بصمات.

- أنت كنت لابس جوانتي يومها، أنا فاكرة كويس.

- أيوة فعلا كان لابس جوانتي.

قالت صافي بنبرة مبهوتة.

- إنتي هتعومي على عومها يا مدام صافي، دي بتخرّف.

قالها مهدي وقد بدأ يرتعش كثور هائج، بينما أكملت نادرة بإصرار:

- دخلت علينا يومها غرقان مية، وقلت إنك نسيت تقف تحت التندة، لكن في الحقيقة أنت اتغرقت مطر لأنك عديت الشارع وقتلت لطيف ورجعت، محروس شافك من ضهرك وأنت راجع، والأستاذ عبد الله شافك وأنت داخل من البوابة، بس أنت لخفنته لما قلت إنك كنت بتتمشى ف الجنينة وهو صدقك ساعتها.

- إنتي مجنونة.. أنا هاعمل كده ليه؟

- علشان أنت المختلس. سنين وأنت بتلخبط في الحسابات وبتسرق لطيف وهو مش مخوّن، ولما اكتشف وواجهك خفت من الفضيحة، لأنك عارف إنه لا يمكن يغفر خيانة الأمانة. خفت تطلع أنت وولادك من الشركة، فقررت تتخلص منه، شفت المسدس في الخزنة وفي لحظة خدت القرار وقتلته، فديت بيه نفسك من فضيحة الاختلاس وفضيحة الإفلاس.

- إنتي مجنونة! ماحدش هيصدقك.

صرخ بها مهدي ثم باغت الجميع بهجمة ضارية على نادرة انكمش فيها جسدها أمام ضخامة جسده وغضبه.

*

- ولا حركة.. أنت مقبوض عليك.

ظهر رجال الشرطة من اللا مكان فأحاطوا بالحاج مهدي ومنعوه من الحركة، بينما تقدم المقدم أحمد نحوه قائلا:

- هي مش مجنونة، كل اللي قالته صحيح وعندنا الأدلة.

نظر إليهم مهدي غير مصدق وهو يصرخ في جنون:

- شيلوا إيديكم من عليّا.. أنتم نسيتم أنا مين؟

انبرى سيف قائلا:

- ابعدوا عنه فورا. ده عضو مجلس شعب وعنده حصانة.

- كان.. كان عنده حصانة. الرقابة الإدارية ومباحث الأموال العامة مراقبينه بقالهم شهور، رصدوا كل الاختلاسات والرشاوي والتلاعب في البورصة، ومن كام ساعة بس خدوا إذن من النيابة واترفعت عنه الحصانة.

هتفت صافي بصوت أجش:

- اختلاسات ورشاوي إيه؟ مستحيل.

- لا مش مستحيل يا مدام، الحاج مهدي خسر كتير في البورصة الفترة اللي فاتت، وده اللي خلاه يتقل إيده ف الاختلاسات وعلشان كده اكتشفها الحاج عبد اللطيف الله يرحمه، ده غير الصفقات الحكومية اللي كان بيسهلها بعلاقاته ورشاويه لحد ما ريحته فاحت. انتم إزاي ماخدتوش بالكم إنه بيبيع ممتلكاته؟

- هو كان بيبيع هنا علشان يشتري بره، ده لسه شاري شقة في نيويورك.

- مافيش الكلام ده، هو كان بيبيع علشان يلحق نفسه من الإفلاس.

أشار المقدم أحمد إلى أفراد الشرطة قائلا:

- يلا بينا. يا ريت حضرتك تيجي معانا من سكات. مافيش داعي للشوشرة.

- ما قتلتش حد، دي بتخرف.

صرخ الحاج مهدي مقاوما أفراد الشرطة.

- شركة الاتصالات أثبتت إن جاتلك مكالمة من تليفون لطيف، وقفلت بعدها بدقيقتين، يعني مافيش مكالمات طولت معاك ولا حاجة. إحنا كمان لقينا حتة قماش صغيرة لونها بني مشبوكة في عمود في الجراج، أنا متأكد إننا لما نقارنها بعبايتك هنلاقيها منها، غالبا من استعجالك ماحستش بيها وهي بتتنتش في المسمار اللي في العمود.

- أنا عايز المحامين بتوعي فورا.

- حقك يا حاج.. لكن ماعتقدش هينفعوك المرة دي.

- ماتخافش يا بابا، باكلمهم أهو. روح معاهم وإحنا كلنا هنحصلك.

قالتها رنا وأصابعها تجري على شاشة هاتفها، بينما تحرك حسام من مكانه صوب شيري. وقف أمامها وهمّ بقول شيء ما.. ثم لم يقل شيئا، بل اتجه بخطوات مسرعة نحو باب القصر وخرج دون أن ينظر وراءه.

تحرّك رجال الشرطة ومعهم الحاج مهدي الذي أخذ يهدد ويتوعد،

وتبعهم سيف يرغي ويزبد، وخرجت وراءهم رنا تجري اتصالاتها الواحد تلو الآخر.

ظل الباقون في أماكنهم مدهوشين، ولم يقطع السكون سوى نهنهات شيري التي اجتذبت إليها عمر كالمغناطيس فجثا على ركبتيه بجوار مقعدها يواسيها، بينما هوت صافي على مقعدها كالمخدرة، تبادل الموظفون نظرات الصدمة، عدا مايسة التي لم تستطع كتمان نظرات الجذل والإثارة.

أما ميجان وهاري..

وبليغ ووردة..

فقد حلّقوا معا في فلك آخر..

حيث تتوهج النجوم..

وتولد الشموس..

وتتحقق الوعود.

***